العناية بطلاب العلم

عند علماء المسلمين

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م

ISBN 978 - 9948 - 15 - 374 - 0

الصف والإخراج الفني
حسن عبد القادر العزاني

دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي
إدارة البحوث

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١+ فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١+
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
mail@iacad.gov.ae www.iacad.gov.ae



دائـــرة الشـــؤون الإســـلامية والعمـــل الخيـــري
Islamic Affairs & Charitable Activities Department

العناية بطلاب العلم

عند علماء المسلمين

بقلم
د. عبد الحكيم الأنيس
كبير باحثين أول بإدارة البحوث


بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

وبعد: فيسر « **دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي - إدارة البحوث** » أن تقدِّم إصدارَها الجديد « **العناية بطلاب العلم عند علماء المسلمين** » لجمهور القراء من السادة الباحثين والمثقفين والمتطلعين إلى المعرفة.

وهذا الكتاب على جانب كبير من التفرد والأهمية، إذ استنبط فيه المؤلف (٢٨) معلماً من معالم عناية العلماء بطلاب العلم في تاريخنا العلمي، الحافل بالإنجازات الكبيرة، والسبق المدهش في ميادين التعليم والتربية.

ومنها عناية العلماء بذوي النبوغ والذكاء، واحتضان أصحاب المواهب والملكات، وهذا معلم رائع، وفي الأمة حاجة ماسة إلى تفعيله والاهتمام به وتطبيقه.

وهذا الإنجاز العلمي يجعلنا نقدم عظيم الشكر والدعاء **لأسرة آل مكتوم** حفظها الله تعالى التي تحب العلم وأهله، وتؤازر قضايا الإسلام والعروبة بكل تميز وإقدام، وفي مقدمتها **صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بن**

سعيد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي الذي يشيِّد مجتمع المعرفة، ويرعى البحث العلمي، ويشجع أصحابه وطُلابه .

راجين من العلي القدير أن ينفع بهذا العمل، وأن يرزقنا التوفيق والسداد، وأن يوفق إلى مزيد من العطاء على درب التميز المنشود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على النَّبي الأمي الخاتم سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مدير إدارة البحوث
الدكتور سيف بن راشد الجابري

قبس من السُنَّة

قال الصحابي الجليل صفوان بن عسال المرادي:

أتيتُ رسـول الله ﷺ وهو متكىءٌ في المسـجد على برد له أحمر، فقلت له: يا رسول الله، إني جئت أطلب العلم.

فقال: مرحباً بطالب العلم.

إنَّ طالـب العلـم لتحفه الملائكـة، وتظله بأجنحتها، ثـم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا مِنْ حبهم لما يطلب. فما جئتَ تطلب؟

قال صفوان: يا رسـول الله، لا نـزال نسـافر بين مكـة والمدينة فأفتنا عن المسح على الخفين؟

فقال رسول الله ﷺ: ثلاثة أيام للمسافر، ويوم وليلة للمقيم[1].

---

(١) رواه النسـائي في السـنن الكبرى (٨/ ٤٢٢) برقـم (٩٥٨١)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٥٤) برقـم (٧٣٤٧) واللفـظ لـه، وعنـه الضيـاء في الأحاديـث المختـارة (٨/ ٤٦) برقـم (٣٥)، وأورده السـيوطي في الجامع الكبير. انظر: كنـز العمال (١٠/ ١٦٠) برقم (٢٨٨٢٧). وقال ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٥٩): «حديث صحيح حسـن ثابـت محفوظ مرفـوع، ومثلـه لا يقال بالـرأي»، وقـال المنذري فـي الترغيب والترهيب (١/ ٧٣): «إسـناده جيـد»، وقال الهيثمي في المجمـع (١/ ١٣١): «رجاله رجال الصحيح».



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فهذا كتاب أحسبه على جانب كبير من الأهمية، إذ يكشف عن موضوع مهم للغاية، هو العناية بطلاب العلم عند علماء المسلمين، هذه العناية العلمية الأخلاقية النادرة، التي تجاوزت الأوهام والتصورات، وأظهرت جهود العلماء العظيمة في بثّ العلم وتشجيع طلابه، لتوسيع القاعدة العلمية، والبيئة التعليمية في عالم الإسلام.

لقد أخذ علماء المسلمين على عاتقهم مهمة النهوض بالمستوى العلمي للعالم الإسلامي، فبذلوا ما يستطيعون من أموال وأوقات، وصرفوا ما بإمكانهم من طاقات وقدرات، لرفعة المسلمين علمياً، وإشاعة هدايات العلوم الإسلامية في قلوب الناس وعقولهم، وإيجاد العلماء الأَكْفَاء الذين يحملون الهمَّ بعدهم، ويحافظون على الأمانة سليمة من الأهواء والبدع والانحراف.

لقد كانت قرة عيونهم، وسعادة نفوسهم، ومتعة أوقاتهم أن يبثوا العلم، ويخرِّجوا الطلاب، ويقضوا على الجهالة ما استطاعوا، ويطمسوا الضلالة ما تمكنوا.

وكلما أمعن القارئ النظر في سيرهم ومسيرتهم أدرك أية نية كانت تبعثهم، وأية أهداف كانت تلوح لهم، وأية ثمار آتت جهودهم.

ومـا كان الواحد منهم يغادر هذه الدنيـا إلى ربه الكريم إلا وقد ترك من بعـده مـن المؤلفات والتلاميذ مـا يكفل اسـتمرار الحركة العلميـة، ويضمن الحركة الإرشادية.

إن القلب ليمتلـئ إكباراً وإعظاماً لهذه القافلة العظيمة من البشر، الذين أكرمهـم الله بنـور العلـم والفهـم، وألهمهـم الخير والـبر، وقـوى عزائمهم وأجسـامهم، فتعلمـوا وعلَّموا، وعرفـوا وعملوا، ودعوا وأرشـدوا، كلٌ في محيطه الذي يعيش فيه، بحيث تَأَلَّف من مجموعهم مجتمع يعج بالعلم والتعليم، والفهم والتفهيم، ومارت دنيا الإسلام بحلقات الدرس والتدريس، وعجت المساجد والمدارس بدوي الدارسين، وهمهمة الحافظين، وأصوات المعلِّمين، وصدى المعيدين، ومراجعات المفيدين والمستفيدين.

بهذا الشغف بالعلم، والإقبال عليه، وقضاء العمر فيه قامت في المسلمين حضـارة علمية شـماء، وازدهرت حديقة أخلاقية فيحاء: مسـاجد ومدارس عامرة، وأربطة وزوايا زاهرة، ودور للعلم زاخرة، وكتب ووَرَّاقُون يملؤون الأماكن، وميراث علمي يتناقل الناس حديثه في الشرق والغرب.

ترى هل قدَّر العلمَ أحدٌ كما قدره الإسلام؟ وهل أقبل عليه أحد واعتنى بطلابه أحد كما أقبل واعتنى علماء الإسلام؟

وهـذه الصفحات القادمة تحاول أن تقول كلمة في هذا المجال، أرجو أن تكـون وافية بحقهم بعض الوفاء، وهي خطوة على الطريق الطويل، وإضاءة يسيرة على ذلك العالم الكبير.

صفحات تكشف معالم هذه العناية بعد مداخل ثلاثة تبين السر الكامن خلف هذه العناية المدهشة... إنها تتحدث بإيجاز عن:

- عناية الله تعالى.

- ورسوله ﷺ.

- والصحابة الكرام، بطلاب العلم... .

هذه العناية رأى العلماء أنهم مسؤولون عنها، مطالبون بها، فأقبلوا عليها ووعوها، وطبقوها وأدوها كما تلقوها، وعملوا بها كما عوملوا، وبهذا استمرت الحياة العلمية عند المسلمين طبقة بعد طبقة، وجيلاً بعد جيل، وخلفاً بعد سلف.

واليوم يتلفت الناظر فيرى في المساجد شوقاً عارماً إلى حلقات العلم والتعليم، ويسمع من جدران المدارس العتيقة شكوى حزينة من غياب أصوات المدرسين والدارسين، ويشاهد مخطوطات تملأ الخزائن تستنهض همم ذويها للكشف عنها، ويرى كتباً عظيمة تتلوى من أسىً لابتعادها عن أيدي القارئين.

والأمة مطالبة - أشد ما تكون المطالبة - بإعادة النظر في موقفها من العلم وأهله وطلابه.

ويا علماء المسلمين: إذا كان لكم حقوق فإن عليكم واجبات: أن تعملوا - أشد ما يعمل العامل - لبثِّ العلم، ورعاية طلابه، وإنارة الحياة بنور

القرآن والسنة، وتصحيح المسار بفقهها وإرشادهما، كلٌ في موقعه، إلى أن يأذن الله بعودة الحياة العلمية لدى المسلمين إلى ما كانت عليه... يوم كانت عواصم الإسلام ومدنه وقراه وكل بقعة فيه زاخرة موارة بالعلم وأهله، حملاً وأداءً، وأخذاً وعطاءً، وتعلماً وتعليماً، وتفهماً وتفهيماً... يوم كان المسلمون أحرص الناس على أعمارهم فلا تنقضي لحظة إلا في عمل يعود بالخير على هذه الأرض.

هذا، وقد بلغت معالم العناية (٢٨) معلماً - وليست هي نهاية القول - استنبطتها من تاريخنا العلمي، الحافل بالمآثر الناصعة في البذل والعطاء والتضحية، والسبق المدهش في ميادين التربية والتعليم والبناء.

وقد رتبتها متدرجاً بها - قدر الإمكان - تدرج ساعات النهار فكانت كالآتي:

* خطوط الفجر: وفيها:

- حضهم وتحريضهم على طلب العلم.

- تأليف الكتب الحاثّة على الطلب.

- تأليف الكتب في رسم منهج الطلب.

- إرشاد المعلمين في تعليم الطلاب.

- الوصية بهم.

* نور الصباح: وفيه:

- سؤالهم لتحفيزهم ومعرفة منزلتهم.

- الحرص التام على تعليمهم.

- الدلالة على الشيوخ النفَّاعين.

- الصبر عليهم وتحملهم.

- عدم أخذ شيء منهم أو استخدامهم.

- مساعدتهم بالمال والجاه وإكرامهم.

- مساواتهم بالنفس في التعامل.

- مراعاة أحوالهم المعاشية.

* إشراقات الضحى: وفيها:

- الاهتمام بذوي النبوغ واحتضانهم.

- إمدادهم بالكتب.

- تقوية نفوسهم على البحث.

- تدريبهم على النظم والنثر.

- مساندتهم في التأليف.

- تشجيعهم وتقديرهم بالنقل عنهم.

* أجواء الظهيرة: وفيها:

- النظر إليهم بتقدير وستر عيوبهم.

- الدعاء لهم وتعويذهم.

- تقوية صلتهم بالله تعالى.

- حثهم على الالتزام الدقيق بالصدق.

- توجيه الوصايا الرائعة لهم.

* نسمات المساء: وفيها:

- تزويجهم بناتهم أو قريباتهم.

- حفظهم في ذريتهم.

- صلة في النوم.

- عناية في اليوم الآخر.

وتحت كل معلم من هذه المعالم شـواهد ومشـاهد، وآثار ومآثر، وجهود وجهاد، سطرها التاريخ بمداد من نور.

وأراعـي في كل معلـمٍ ذكرَ الشـواهد والأمثلـة والأخبار فيه متسلسـلةً حسـب الوفيـات الأقدم فالأقـدم، ليلحظ القارئ اسـتمرار هـذه العناية في الأمة عبر تاريخها.

وبعـد: فـإن من غايـات هـذا الكتاب الأسـاسـية إظهـار أمر مهـمٍ غاية الأهمية، وهو أن العملية التعليمية عند المسـلمين اصطبغت بصبغة الأخلاق في مبتدئهـا ومنتهاهـا، وفي سـائر جزئياتها وتفاصيلهـا، ولهـذا كانت عملية ناجحة آتت ثمارها يانعة، وأسفرت عن تخريج أجيال تلو أجيال.

كان العلماء يحملون مشـاعل النور، فيعطـون ولا يأخذون، ويتفانون في بث العلم ونشر المعرفة، ويكسـبون طلابهم المهارات الغالية التي اكتسبوها، والخبرات العالية التي حصَّلوها، ولا يضنون عليهم بشيء ممّا عندهم، وكل هـذا البـذل والعطاء بلا مقابل منهم، بل لعلمهـم أوذوا من طلابهم فصبروا واحتسـبوا، ولم يصدهـم ذلك عن الاسـتمرار على منهجهـم القويم، بحيث كانوا يدعون بحقٍ: آباء التعليم.

أقـول هـذا لأننـا قد نرى هنـا وهنـاك انحرافاً مؤسـفاً في مسـار التعليم – في مختلـف مجالاتـه – نحـو الدنيا، ونسـياناً للآخرة، وقلة صـدق في تعليم أبناء المسـلمين، ومنحهم المهارات والخبرات، وأنانية مفرطة في ساحاتٍ هي أحوج ما تكون إلى التجرد والنقاء.

وأظن – والحال هذه – أن الكشف عن جهود علمائنا العلمية الأخلاقية الرائعة أصبح ضرورة بكل ما في هذه الكلمة من معنى، لعل ذلك يسـهم في العلاج المنشود.

وأخيراً قد يسـأل سائل: ما السر وراء هذه العناية الفياضة بالخير والنور والنفـع؟ والجـواب: الـسر هو طلب مرضـاة الله سـبحانه، وابتغـاء ما عنده

بحيث يسهل الصعب، ويُستعذب التعب، ويُتَحَمَّلُ الأذى ولو جاء من أولئك الذين بُذلتْ من أجلهم النفس والنفيس.

إن طلب مرضاة الله أثار من همم العلماء وجهودهم أعمالاً هي حقاً أبعد من الخيال تصوراً، ولكن الواقع يصدقها ويحققها.

وأجلُّ ما في تلك الأعمال أن الله – عز وجل – جعل فيها البركة، وكتب لها النجاح، وضاعف آثارها، وأعلى منارها، وتجاوز بها حدودها الزمانية والمكانية إلى ما شاء زماناً ومكاناً.

إن الإخلاص إكسير الحياة، وبهجة الوجود، وسرُّ كل نجاح، ونسأل الله أن يغرسه في نفوسنا لتنبت شجرة التوفيق، وتثمر الأعمال الصالحة التي تمكث في الأرض.

ورحم الله الشيخ ابن عطاء الله القائل: «الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها»[1].

والآن هيا بنا إلى معالم العناية بالطلاب.. «**دواء القلب**» كما كان يسميهم الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، و«**جلاء الحزن**» كما كان يسميهم الإمام أبو حنيفة.

عبد الحكيم الأنيس

* * *

---

(١) حكم ابن عطاء الله (بشرح الشيخ زروق)، (ص٣٥).

المدخل الأول

عناية الله تعالى بطلاب العلم

إن عناية الله سبحانه وتعالى بطلاب العلم لا توصف، ومن ذلك:

١ - أخذُهُ - سبحانه - الميثاق على العلماء أن يبينوا ما لديهم من علم، ليصل هذا العلم إلى طلابه وأهله ومحتاجيه:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران:١٨٧].

قال الإمام القرطبي: «هذا متصل بذكر اليهود، فإنهم أُمروا بالإيمان بمحمد عليه السلام وبيان أمره، فكتموا نعته. فالآية توبيخ لهم.

ثم مع ذلك هو خبر عام لهم ولغيرهم. قال الحسن وقتادة: هي في كل مَنْ أُوتي علم شيء من الكتاب، فمن علم شيئاً فليعلمه، وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة. وقال محمد بن كعب: لا يحل لعالم أن يسكت على علمه، ولا للجاهل أن يسكت على جهله، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الآية، وقال: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣].

وقال أبو هريرة: لولا ما أَخَذَ اللهُ على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء، ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾.

وقال الحسن بن عُمارة: أتيت الزهري بعد ما ترك الحديثَ، فألفيته على بابه، فقلت: إنْ رأيت أن تحدثني. فقال: أما علمتَ أَني تركتُ الحديث؟

فقلت: إمَّا أَنْ تحدثني وإما أن أحدثك. قال: حدِّثني. قلت: حَدَّثني الحكم بن عتيبة عن يحيى بن الجزار قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: ما أخذ الله على الجاهلين أَنْ يتعلموا، حتى أخذ على العلماء أَنْ يعلِّموا. قال: فحدثني أربعين حديثاً»[1].

٢- ومن ذلك وعدُهُ لهم بالحسنى على لسان رسوله ﷺ:

فعن أبي الدرداء، قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة. وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها رضىً لطالب العلم، وإن العالم يستغفر له مَنْ في السموات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء.

وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب. وإن العلماء ورثة الأنبياء. وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورَّثوا العلم، فَمَنْ أخذه أخذ بحظٍ وافر»[2].

ومما يتعلق بهذا الحديث ما رواه الإمام النووي بسنده عن الإمام الطبراني أنه قال: «سمعت أبا يحيى زكريا بن يحيى الساجي - رحمه الله تعالى - قال: كنا نمشي في أزقة البصرة، إلى باب بعض المحدِّثين فأسرعت المشي، وكان

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣٠٤-٣٠٥).

(٢) رواه أبو داود في العلم: باب الحث على طلب العلم (٣٦٣٦)، والترمذي في العلم: باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٢٦٨٢)، وابن ماجه في المقدمة: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢٢٣).

معنـا رجل متهم[1] ماجـن في دينه فقال: ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها كالمستهزئ! فما زال من[2] موضعه حتى جفت رجلاه وسقط.

وقـال الحافظ عبد القادر[3]: إسـناد هذه الحكاية كالأخـذ باليدين[4]، أو كرأي العين، لأن رواتها أعلام أئمة»[5].

ثم روى عن أبي عبد الله محمد بن يعقوب المَتُّوثي[6] أنه قال: «سمعت أبا داود السجستاني يقول:

كان في أصحـاب الحديـث رجل خليع إلى أن سـمع بحديـث النبي ﷺ «إن الملائكـة لتضـع أجنحتها لطالب العلم رضىً بـما يصنع» فجعل في عقبيه مسامير حديد وقال: أريد أَنْ أطأ أجنحة الملائكة فأصابه أَكِلَةٌ[7] في رجليه».

ثـم قال الإمام النووي: «وذكر الإمام أبو عبد الله محمد بن إسـماعيل بن محمـد بـن الفضل التيمي رحمه الله في كتابه شرح صحيح مسـلم هذه الحكاية فيها: وشلت رجلاه ويداه وسائر أعضائه»[8].

---

(١) العبارة في الأصل: «وكان مع رجل منهم» فصوبتها بالرجوع إلى: الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي (ص٨٥).

(٢) في الأصل: في.

(٣) في الأصل: عبد الحافظ.

(٤) في الأصل: كالوجد. وأثبت ما في فيض القدير (٢/ ٣٩٣).

(٥) بستان العارفين ص١٢٥ . وأورد المناوي الخبر في الفيض (١/ ٥٤٣) نقلاً عن الرهاوي والطبراني، وفي (٢/ ٣٩٣) نقلاً عن النووي.

(٦) في الأصل: المتوتي. وهو مخالف لضبط المؤلف، ولما جاء في: توضيح المشتبه (٨/ ٤٥).

(٧) في القاموس (ص١٢٤٣): «الأكلة – كفرحة –: داء في العضو يأتكل منه».

(٨) بستان العارفين ص١٢٥-١٢٦ .

٣- ومن عناية الله تعالى بطلاب العلم إنقاذهم في الشدائد، وإسعافهم عند الحاجة، ولنتأمل في هذه الأخبار:

- قال الحافظ يعقوب بن سفيان الفارسي الفسوي (ت:٢٧٧هـ):

«كنت في رحلتي فقلّت نفقتي فكنت أدمن الكتابة ليلاً، وأقرأ نهاراً، فلما كان ذات ليلة كنت جالساً أنسخ في السراج، وكان شتاءٌ، فنزل الماء في عينيَّ فلم أبصر شيئاً فبكيت على نفسي لانقطاعي عن بلدي، وعلى ما فاتني من العلم، فغلبتني عيناي فنمت فرأيت النبي ﷺ في النوم فناداني: يا يعقوب لم أنت بكيت؟ فقلت: يا رسول الله ذهب بصري فتحسرت على ما فاتني. فقال لي: ادن مني. فدنوت منه، فأمرَّ يده على عينيَّ كأنه يقرأ عليهما، ثم استيقظت فأبصرت، فأخذت نسخي وقعدت أكتب».

ويعقوب هذا قال عنه ابن حبان في كتابه الثقات: «كان ممن جمع وصنف مع الورع والنسك والصلابة في السنة».

ونقل ابن حجر عنه أنه قال: «قمت في الرحلة ثلاثين سنة».

وقال: «كتبت عن ألف شيخ وكسرٍ، كلهم ثقات»(١).

- وقال الإمام محمد بن نصر المروزي (ت:٢٩٤هـ):

«خرجت من مصر ومعي جارية لي، فركبت البحر أريد مكة، فغرقت [السفينة] فذهب مني ألفا جزء! وصرت إلى جزيرة أنا وجاريتي، فما رأينا

---

(١) انظر هذا كله في تهذيب التهذيب (١١/ ٣٨٦-٣٨٧).

فيهـا أحداً، وأخـذني العطشُ فلم أقدر على المـاء وأُجهدت، فوضعت رأسي على فخذ جاريتي مستسلماً للموت، فإذا رجل قد جاءني ومعه كوز، فقال لي: هاه، فأخذت فشربت وسقيت الجارية ثم مضى فما أدري من أين جاء ولا من أين ذهب»[١].

- وقـال الإمام الحافظ ابن المقرئ: محمد بن إبراهيم الأصبهاني (٢٨٥-٣٨١هـ):

«كنت أنا والطبراني [٢٦٠-٣٦٠هـ] وأبو الشيخ [ابن حيان ت:٣٦٩] بالمدينـة، فضـاق بنـا الوقـت، فواصلنا ذلـك اليوم، فلـما كان وقت العشـاء حضرت القبر وقلت: يا رسـول الله الجوع، فقال لي الطبراني: اجلس فإما أن يكـون الرزق أو الموت، فقمت أنا وأبو الشـيخ، فحضر الباب علوي ففتحنا له، فإذا معه غلامان بقفتين فيهما شيء كثير، وقال: شـكوتموني إلى النبي ﷺ، رأيته في النوم فأمرني بحمل شيءٍ إليكم»[٢].

- وقال الشيخ أحمد بن مطيع الباجسرائي (ت:٦٢١هـ):

«كنـت أجيء من مدرسـة الوزيـر ابن هبيرة من باب البصرة إلى الشـيخ عبد القادر[٣]، فجئت في بعض الأيام وهو كأنه ضجران، فانتهرني وقال: قم،

---

(١) تاريـخ بغـداد (٣/ ٣١٧)، وتذكـرة الحفـاظ (٢/ ٦٥٢-٦٥٣)، والبدايـة والنهايـة (١١/ ١٠٢) طبعة المعارف، وما بين المعكوفتين منه.

(٢) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٧٤).

(٣) الإمام الجليل الشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلي (٤٧٠-٥٦١هـ).

فمضيت، فبينا أنا في بعض الطريق أنفذ خلفي، فجئت، فقال: لما حَرِدْتُ[1] عليك، ومشيتَ نمتُ، فرأيت النبي ﷺ فقال: أنت معلم الخير لا تضجر، أنت معلم الخير لا تضجر، أنت معلم الخير لا تضجر - ثلاث مرات - قال: ثم أخذ عليّ، وأقرأني»[2].

قال ابن الدبيثي في ترجمة أحمد هذا: «صحب الشيخ أبا محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، وقرأ عليه كتابه المعروف بـ(الغنية)، وروى عنه»[3].

- وقال الإمام أبو الخير القزويني مدرِّسُ النظامية:

«حكى لنا أبو عبد الله الفراوي [وكان في نيسابور] قال: قدم ابن عساكر[4] فقرأ عليَّ ثلاثة أيام فأكثر وأضجرني، وآليت على نفسي أن أغلق بابي فلما أصبحنا قدم عليّ شخص فقال: أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليك. قلت: مرحباً بك. فقال: قال لي في النوم: امض إلى الفراوي وقل له: قدم بلدكم رجل شامي أسمر اللون يطلب حديثي فلا تملَّ منه.

قال القزويني: فوالله ما كان الفراوي يقوم حتى يقوم الحافظ»[5].

---

(١) أي: غضبت. كما في القاموس ص٣٥٣ (حرد).

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (١/ ٢٩٣).

(٣) ذيل تاريخ مدينة السلام (٢/ ٤٠٩)، وتاريخ الإسلام (٤٥/ ٥٤).

(٤) الإمام الحافظ المؤرخ أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (٤٩٩-٥٧١هـ)، رحل في طلب العلم إلى بغداد ونيسابور وغيرها من البلاد، وأخذ عن ألف وثلاث مئة شيخ، ونيف وثمانين امرأة. كما في مصادر ترجمته.

(٥) تذكرة الحفاظ (٤/ ١٣٣٠-١٣٣١)، وتاريخ الإسلام (٤٠/ ٧٧)، وسير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٦٤)، وطبقات علماء الحديث (٤/ ١٠٨).

المدخل الثاني

عناية رسول الله ﷺ بهم

كان لرسول الله ﷺ بطلاب العلم في حياته الشريفة عناية رائعة تتجلى في صور متعددة:

١- منها: مراعاة أحوالهم:

روى البخاري في صحيحه عن ابن مسعود قال: كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا.

قال ابن حجر: «والمعنى كان يراعي الأوقات في تذكيرنا، ولا يفعل ذلك كل يوم لئلا نمل»[١].

٢- ومنها: تنشيط أذهانهم من خلال السؤال:

روى البخاري عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم، حدثوني ما هي؟ قال: فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: فوقع في نفسي أنها النخلة. ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: هي النخلة[٢].

٣- ومنها: الثناء على المتعلم:

روى البخاري عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: مَثَلُ ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقيةٌ قبلت

---

(١) فتح الباري (١/ ١٦٢).

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (١/ ١٤٧).

الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير،، وكانت منها أجادبُ أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسَقَوا وزرعوا، وأصابت منها طائفةً أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً. فذلك مَثَلُ مَنْ فَقِهَ في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم، ومثل مَنْ لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به[1].

وروى عن أبي هريرة أنه قال: قلت: يا رسول الله مَنْ أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: لقد ظننت يا أبا هريرة أنْ لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أولُ منك، لما رأيت من حرصك على الحديث. أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة مَنْ قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه[2].

٤- ومنها: الدعاء لهم:

عن ابن عباس قال: ضمَّني رسولُ الله ﷺ وقال: اللهم علِّمه الكتاب. رواه البخاري في صحيحه، في كتاب العلم.

قال الحافظ ابن حجر: «بيَّن المصنف في كتاب الطهارة من طريق عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس سببَ هذا الدعاء ولفظه: دخل النبي ﷺ الخلاء فوضعت له وضوءاً. زاد مسلم: فلما خرج قال: مَنْ وضع هذا؟ فأُخبِرَ

(١) صحيح البخاري مع الفتح (١/ ١٧٥).
(٢) صحيح البخاري مع الفتح (١/ ١٩٣).

[فقال: اللهم فقهه في الدين]، ولمسلم: قالوا: ابن عباس، ولأحمد وابن حبان من طريق سعيد بن جبير عنه أن ميمونة هي التي أخبرته بذلك، وأن ذلك كان في بيتها ليلاً، ولعل ذلك كان في الليلة التي بات ابنُ عباس فيها عندها ليرى صلاة النبي ﷺ...

وقد أخرج أحمد من طريق عمرو بن دينار عن كريب عن ابن عباس في قيامه خلف النبي ﷺ في صلاة الليل وفيه: «فقال لي: ما بالك؟ أجعلك حِذائي فَتَخْلُفَنِي. فقلت: أو ينبغي لأحد أن يصلي حِذاءك وأنت رسول الله؟ فدعا لي أن يزيدني الله فهماً وعلماً»[1].

٥- ومنها: الوصية بهم:

ومن ذلك حديث أبي سعيد الخدري الذي يرويه عنه أبو هارون العبدي وشهر بن حوشب، ولرواية العبدي ألفاظ[2]:

- منها: ما رواه الترمذي في أبواب العلم، باب ما جاء في الاستيصاء بمن يطلب العلم، قال: حدثنا سفيان بن وكيع قال: حدثنا أبو داود الحفري، عن سفيان، عن أبي هارون العبدي، قال: كنا نأتي أبا سعيد فيقول: مرحباً بوصية رسول الله ﷺ، إن رسول الله ﷺ قال: «إن الناس لكم تبع، وإن

(١) فتح الباري (١/ ١٧٠).

(٢) الحديث - إذا لم يُسلِّم بصحته - ضعيف، ولكني أذكره اقتداء بمن ذكره من العلماء مبوبين له بالوصية بطلاب العلم، وبنظم الحافظ العراقي له كما سيأتي. وانظر: التبيان (ص٢١)، والتراتيب الإدارية (٢/ ٣١٦-٣١٧).

رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً»[1].

- ومنها: ما رواه ابن ماجه في مقدمة سننه[2] باب الوَصاة بطلبة العلم قال: حدثنا محمد بن الحارث بن راشد المصري، ثنا الحَكَمُ بنُ عَبْدة، عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: سيأتيكم أقوام يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم: مرحباً مرحباً بوصية رسول الله. وأَقنوهم.

قلت للحكم: ما أقنوهم؟ قال: علِّموهم.

- وأخرج من رواية سفيان عن العبدي قال: كنا إذا أتينا أبا سعيد الخدري، قال: مرحباً بوصية رسول الله ﷺ. إنّ رسول الله ﷺ قال لنا: إنّ الناس لكم تبع، وإنهم سيأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين، فإذا جاؤوكم فاستوصُوا بهم خيراً[3].

---

(١) الجامع (٤/ ٣٨٧-٣٨٨) برقم (٢٦٥٠). وقال: «قال علي: قال يحيى بن سعيد: كان شعبة يضعف أبا هارون العبدي. قال يحيى بن سعيد: ما زال ابن عون يروي عن أبي هارون العبدي حتى مات» ورواه كذلك برقم (٢٦٥١) وقال: «هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث أبي هارون، عن أبي سعيد». وقد ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٠) لمجيئه من طريق آخر، وخولف في ذلك فانظر تعليق محقق الجامع الأستاذ بشار عواد معروف (٤/ ٣٨٨- ٣٩٠).

(٢) (١/ ٩٠-٩١).

(٣) سنن ابن ماجه (١/ ٩٠-٩١)، وثم كلام من الزوائد فانظره.

- وأخرج الخطيب من طريق شيخه ابن بشران عن علي بن عاصم قال: أخبرنا أبو هارون العبدي قال: كُنّا إذا أتينا أبا سعيد الخدري قال: مرحباً بوصية رسول الله. قال: فقلنا: وما وصية رسول الله؟ قال: قال لنا رسول الله: إنه سيأتي من بعدي قوم يسألونكم الحديث عني، فإذا جاؤوكم فألطفوا بهم وحدثوهم[1].

- وأخرج كذلك من طريق الربيع بن بدر عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: سيأتيكم شباب من أقطار الأرض يطلبون الحديث فإذا جاؤوكم فاستوصوا بهم خيراً[2].

- وأخرج من طريق محمد بن ذكوان الأزدي قال: حدثنا أبو هارون عن أبي سعيد أنه كان إذا رأى الشباب قال: مرحباً بوصية رسول الله، أوصانا رسول الله أن نوسع لكم في المجلس، وأن نفهمكم الحديث، فإنكم خلوفنا وأهل الحديث بعدنا[3].

- وأخرج من طريق عبد العزيز بن حصين بن الترجمان قال: حدثنا أبو هارون العبدي قال: كنا إذا جئنا أبا سعيد الخدري يبسط لنا رداءه، فيقول: اجلسوا على هذا، سمعت رسول الله يقول: إنه سيأتيكم أقوام من أقطار الأرض يتفقهون في الدين، ويطلبون حديثي، فإذا جاؤوكم فأكرموهم[4].

---

(١) شرف أصحاب الحديث ص٤٩ (٢٨).

(٢) المصدر السابق ص٥٠ (٢٩).

(٣) المصدر السابق ص٥١ (٣٠).

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٥٥١).

هـذا، وقد قال الإمام الحافظ زين الدين العراقي ارتجالاً في مجلس إقرائه على قول أبي سعيد الخدري :مرحباً بوصية رسول الله ﷺ:

تـرفَّــقْ بمـن يأتيك للعلم طـالباً

وقل مرحباً يا طالب العلم مـرحبا

فـذاك الذي أوصى به سيـد الورى

كما قـد روى الخـدريُّ عنه ورحـبا

ومَـنْ سهَّــلَ اللهُ الطـريـقَ لجـنــةٍ

له لجـديـرٌ بالـترحــب والـحـبـا[1]

* * *

---

(١) انظـر: رسـالة في جواز حـذف «قال» عنـد قولهم «حدثنـا» للعلامة محمد بـن أحمد بنِّيس ص٣٣٨ ضمن (خمس رسائل في علوم الحديث).

المدخل الثالث
عناية الصحابة بهم

كان الصحابة الكرام أول من طبق هدي القرآن والسنة النبوية في العناية بطلاب العلم، ويُـذكـر منهم الأصحـاب الأجـلاء:

- أمير المؤمنين عمر (ت:٢٣هـ):

روى الإمام البخاري في كتاب التفسير من صحيحه، باب تبتغي مرضاة أزواجك، عن عبيد بن حُنين أنه سـمع ابـن عباس رضي الله عنهما يحدث أنه قال: مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبـة له، حتى خرج حاجاً فخرجت معه، فلـمَّا رجعتُ وكنَّا ببعض الطريق، عـدل إلى الأراك لحاجـةٍ له، قال: فوقفتُ له حتى فـرغ، ثم سرتُ معه فقلت له: يا أمير المؤمنين مَن اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ من أزواجه؟ فقال: تلك حفصة وعائشة. قال: فقلت: والله إنْ كنتُ لأريد أَنْ أسألك عن هذا منذ سنة فما أسـتطيع هيبة لك، قال: فلا تفعل، ما ظننت أنَّ عندي من علم فاسـألني، فإن كان لي علم خبرتك به» الحديث[1].

- أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ت:٤٠هـ):

روى ابـن عبـد البر عن عكرمة قـال: قال لي عـلي رضي الله عنه: «خمس احفظوهن، لو ركبتم الإبل لأنضيتموهن من قبل أن تصيبوهن:

- لا يخاف عبد إلا ذنبه.

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٨/ ٦٥٧).

- ولا يرجو إلا ربه.

- ولا يستحي جاهل أن يسأل.

- ولا يستحي عالم - إن لم يعلم - أن يقول: الله أعلم.

- والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا خير في جسدٍ لا رأس له، ولا إيمان لمن لا صبر له»[1].

ومن وصاياه لطلاب العلم ما جاء عن عبد الله بن بريدة قال: قال لي علي: تزاوروا وتذاكروا هذا الحديث، فإنكم إن لم تفعلوا يدرس علمكم[2].

وكان يحض على السؤال فيبدأ الراغب، ويجترأ المتهيب: فعن خالد بن عرعرة التيمي قال: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: ألا رجل يسأل فينتفع وينتفع جلساؤه.

وعن سعيد بن المسيب قال: ما كان أحد من الناس يقول: سلوني غير علي بن أبي طالب[3].

ويفسِّر هذا الحض والعرض قوله: «لم يؤخذ على الجاهل عهد بطلب العلم حتى أُخذ على العلماء عهد ببذل العلم للجهال، لأن العلم كان قبل الجهل»[4].

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٨٢-٣٨٣).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٢٢) وقال محققه: علَّقه المصنف، ووصله الرامهرمزي في المحدث الفاصل (ص٥٤٥)... وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة (٨/ ٥٤٥)، والدارمي (١/ ١٥٠)، والخطيب في الجامع (٤٦٥، ٤٦٦) من طرق... .

(٣) الخبران في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٦٣).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٩٢).

- أبو ذر الغفاري (ت:٣٢هـ):

علق البخاري في كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، عن أبي ذر قال: لو وضعتم الصمصامة على هذه - وأشار إلى قفاه - ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من النبي ﷺ قبل أن تجيزوا عليّ لأنفذتها.

قال الحافظ ابن حجر: «هذا التعليق رويناه موصولاً في مسند الدارمي وغيره من طريق الأوزاعي: حدثني أبو كثير - يعني مالك بن مرثد - عن أبيه قال: أتيت أبا ذر وهو جالس عند الجمرة الوسطى، وقد اجتمع عليه الناسُ يستفتونه، فأتاه رجل فوقف عليه ثم قال: ألم تنه عن الفتيا؟ فرفع رأسه إليه فقال: أرقيب أنت عليَّ؟ لو وضعتم.. فذكر مثله ورويناه في الحلية من هذا الوجه...»[(١)]. والشاهد فيه حرصه على بثِّ العلم لطالبيه.

- عبد الله بن مسعود (ت:٣٢ أو ٣٣هـ):

أخرج البخاري في كتاب العلم من صحيحه، باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة، عن أبي وائل قال: «كان عبد الله يذكِّر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددتُ أنك ذكرتنا كلَّ يوم، قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملّكُم، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمةِ علينا»[(٢)].

---

(١) فتح الباري (١/ ١٦١).

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (١/ ١٦٣).

وروى الـخطيـب البغـدادي عـن علقـمـة قـال: «كـان عبـد الله - يعني: ابن مسعود - يقرِّبهم إذا أتوه، ويقول: أنتم دواء قلبي»[1].

- أبو سعيد الخدري (ت:٦٣هـ وقيل بعد ذلك):

روى الخطيب من طريقين ينتهيان إلى شهر بن حوشب قال: «كنا نأتي أبا سعيد الخدري ونحن غلمان نسأله، فكان يجيبنا بمسائلنا، فإذا نفدت مسائلنا أخبرنا بعدُ حتى نملَّ»[2].

- عبد الله بن عباس (ت:٦٨هـ):

ذكر الذهبي في ترجمة عكرمة بن عبد الله البربري (ت:١٠٤هـ) أنه قال: «طلبتُ العلم أربعين سـنة، وكان ابن عباس يضع الكبل في رجليّ على تعليم القرآن والسنن»[3].

* * *

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٥٥٢).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣٠٥-٣٠٦).

(٣) تذكرة الحفاظ (١/ ٩٦)، وهو في طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٣٨٦)، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٠٩) وفيه: «الفرائض» بدل «السنن» ولم يذكر الجملة الأولى.

عناية علماء المسلمين بطلاب العلم

لقد كان لعلماء المسلمين من العناية بطلاب العلم والحدب عليهم والإحسان إليهم ما يبعث على الإعجاب والإكبار، ويبعث الهمة على الاقتداء والائتساء، فمن ذلك:



خطوط الفجر

- حضهم وتحريضهم على طلب العلم.

- تأليف الكتب الحاثة على الطلب.

- تأليف الكتب في رسم منهج الطلب.

- إرشاد المعلمين في تعليم الطلاب.

- الوصية بهم.



حضهم وتحريضهم على طلب العلم

من صور العناية بطلاب العلم حضهم وتحريضهم على طلب العلم والسفر في طلبه وتحبيبه إليهم:

- ومن ذلك ما فعله الإمام الحافظ أبو نعيم مع الحافظ المشهور بـ«مُطين»: محمد بن عبد الله الحضرمي الكوفي الذي كان أحد أوعية العلم (ت:٢٩٧هـ)، مصنف «المسند» و«التاريخ»:

قال الحافظ مطين: كنت صبياً ألعب مع الصبيان، وكنت أطولهم، فندخل الماء ونخوض فيطينون ظهري، فبصر بي يوماً أبو نعيم فلما رآني قال: يا مطين لا تحضر مجلس العلم؟ فاشتهر بذلك.

وقد بلغ في العلم مبلغاً كبيراً، ووصفه الإمام الدارقطني بأنه ثقة جبل، وقال الحافظ أبو بكر ابن أبي دارم: كتبت عن مطين مئة ألف حديث[١].

- ومنه ما جاء عن: السيد العلم أحمد بن علي الرفاعي (ت:٥٧٨هـ):

فقد نقل عنه كاتب سيرته محدِّث واسط الإمام تقي الدين عبد الرحمن بن عبد المحسن الواسطي (ت:٧٤٤هـ) أنه قال: «من اشتغل بالعلم كان له معنا سهمان: سهم العلم وسهم الفقر، ولو انقطع عنّا بالاشتغال فيه»[٢].

فالإمام بهذا القول يحض على التوجه إلى طلب العلم وتحصيله والسعي إليه، ويبين أن من اشتغل بطلب العلم فله سهمان من الأجر والمنزلة: سهم

(١) انظر: الوافي بالوفيات (٣/ ٣٤٥).

(٢) ترياق المحبين في سيرة سلطان العارفين (ق ٢٢ ب).

العلم وسهم الفقر - أي السلوك -، وإن أداه هذا وشغله عن حضور مجالس التذكير والإرشاد.

- ومنه ما جاء عن الإمام القاضي أبي عبد الله محمد بن عياض السبتي حفيد القاضي عياض (ت:٦٥٥هـ بغرناطة):

قال أبو جعفر ابن الزبير: كان من عدول القضاة وجلة سراتهم وأهل النزاهة فيهم... فاضلاً وقوراً، حسن الصمت، يعرب كلامه أبداً، ويزينه ذلك لكثرة وقاره، محباً في أهل العلم، مقرِّباً لأصاغر الطلبة، ومكرماً لهم، ومعتنياً بهم، ليحبب إليهم العلم، والتمسك به، ما رأينا بعده في هذا مثله[١].

- ومنه ما جاء عن الإمام الحافظ عبد الغني المقدسي (ت:٦٠٠هـ):

قال الحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي: «كان رحمه الله مجتهداً على الطلب، يكرم الطلبة، ويحسن إليهم، وإذا صار عنده طالب يفهم أَمَرَه بالرحلة، ويفرح لهم بسماع ما يحصلونه، وبسببه سمع أصحابنا الكثير.

سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن محمد الحافظ يقول: ما رأيت الحديث في الشام كله إلا ببركة الحافظ، فإنني كل مَنْ سألته يقول: أول ما سمعت على الحافظ عبد الغني، وهو الذي حرّضني».

قال الحافظ الذهبي: «وهو رحَّل ابن خليل إلى أصبهان، ورحل ابنيه العز محمداً وعبد الله إلى أصبهان، وكان عبد الله صغيراً، وسفّر ابن أخته محمد بن عمر بن أبي بكر، وابن عمه علي بن أبي بكر.

---

(١) الديباج المذهب (٢/ ٢٦٦-٢٦٧).

قال الضياء: وحرّضني على السفر إلى مصر، وسافر معنا ابنه أبو سليمان عبد الرحمن ابنَ عشرٍ، فبعث معنا «المعجم الكبير» للطبراني، وكتاب البخاري، و«السيرة»، وكتب إلى زين الدين علي بن نجا يوصيه بنا، وسفَّر ابن ظفر إلى أصبهان، وزوَّدَهُ، ولم يزل على هذا»[1].

ذلك أن الرحلة في طلب العلم أساسية في حياة الطالب، لما فيها من لقاء الشيوخ، والسماع منهم والأخذ عنهم، والتفرغ للقراءة والسماع والطلب والحفظ، وتوسيع المدارك، وتلقيح العقل برؤية العلماء والصلحاء.

ومن الحاضين على طلب العلم:

- الإمام الحافظ الشيخ علم الدين البرزالي (٦٦٥-٧٣٩هـ):

قال الذهبي: «وهو الذي حبب إلي طلب الحديث. فقال: خطك يشبه خط المحدثين، فأثر قوله فيّ وسمعت وتخرجت به في أشياء»[2].

- ومن ذلك ما جاء عن الزين ماهر أحد علماء القدس وصلحائه:

ذكر السخاوي في ترجمة إبراهيم بن أحمد برهان الدين العجلوني ثم المقدسي الشافعي نزيل القاهرة (ت:٨٨٥هـ) أنه كان بواسطة أخٍ له «يجتمع بالزين ماهر أحد علماء القدس وصلحائه فرأى منه فطنةً وذكاء فخطبه للاشتغال ورغبّه فيه، وقرأ عليه (الحاوي الصغير) في التقسيم، وأذن له بعد يسيرٍ في التدريس بحيث عُرِفَ به»[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٥٠-٤٥١).

(٢) الوافي بالوفيات (٤/ ١٦٢).

(٣) الضوء اللامع (١/ ١١-١٢).

- ومنهم الشيخ هاشم التاجي أمين الفتوى في دمشق (ت: ١٢٦٤هـ):

جاء في ترجمة العالم الفاضل عثمان مردم الدمشقي (١٢٣٥-١٣٠٤هـ) أنه «كان في حداثته يميل إلى الفتوة في مسلكه وملبسه، فاتفق أنه بينما كان واقفاً ذات يوم في مدخل حيه قرب المارستان النوري إذ رآه الشيخ هاشم التاجي يتبعه تلامذته، فسلَّم عليه وقال له: «يا بني، لا يجمل بمثلك أن يضيع أوقاته، ويقف مثل هذا الموقف، فقابلني غداً في دار هاشم التاجي». فلما علم أن الذي كلمه هو الشيخ نفسه بكَّر إليه، وأخذ يتلقى عنه، ولبس الجبة والعمامة البيضاء، ولازمه، وتزوج إحدى بناته»[١].

- ومنهم الشيخ رضي الغزي (ت:١٢٨٦هـ):

جاء في ترجمة شيخ الشام ورئيس علمائها الشيخ سليم العطار (١٢٣٢-١٣٠٧هـ) أنه «طلب العلم بعد أن جاوز الخامسة عشرة من عمره، وقبل ذلك لم يشتغل بالطلب، بل كان يلعب مع الصبيان، حتى مرَّ به يوماً الشيخ رضي الغزي وهو يلعب، فقال له: «أليس من العار أنْ تكون حفيد الشيخ حامد شيخ علماء الشام وفي حجره وأنت بهذه الحالة؟!» فانتبه من غفلته، وشمَّر عن ساعد الجد والاجتهاد، ولازم الدروس، وثابر على الحفظ والقراءة، حتى تضلع في مختلف العلوم وسبق أقرانه»[٢].

---

(١) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (١/ ٤٢). وترجمة التاجي في تاريخ علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري (٢/ ٥١٠).

(٢) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (١/ ٨٩). وقد جاء في ترجمة الشيخ رضي (ويعرف بـ:رضا) أنه ولد سنة (١٢٣٤هـ) كما في ترجمته في: علماء دمشق وأعيانها =

- ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد المدني بن علي بن جلون:

جاء في ترجمة العلامة محمد بن جعفر الكتاني (ت:١٣٤٥هـ) أنه أخذ عن عدد من العلماء منهم الشيخ المذكور «وهو الذي درّبه على الاشتغال بعلم الحديث، وحبَّبه إليه، وهو عمدته»[١].

والواقع أن وجود الحاثين على العلم كان له آثار ضخمة في تاريخ العلم، وتوجه به إلى العلم ناس كثير، وقد يتأخر نبغاء عن الطلب لعدم وجود من يحثهم.

فهذا السخاوي يقول في ترجمة شيخه ابن حجر: «وفتر عزمُهُ عن الاشتغال من أجل أنه لم يكن له مَنْ يحثه على ذلك، فلم يشتغل إلا بعد استكمال سبع عشرة سنة»[٢].

فكيف لو وَجَدَ مَنْ يحثه ويرعاه قبل هذه السن؟

- وأول من سَنَّ سنة التشجيع في بلاد الشام - أي في العصر الحديث - هو العلامة مربِّي الجيل الشيخ طاهر الجزائري، الفيلسوف المؤرخ الجدلي، الذي من آثاره المدارس الابتدائية النظامية في الشام، والمكتبة الظاهرية، والأستاذ محمد كرد علي بك أبو النهضة الفكرية في الشام وقائدها، والأستاذ

= في القرن الثالث عشر الهجري (٢/ ٦٧٧). فإن صح هذا فيكون أصغر من المنصوح الشيخ سليم العطار، ويكون نصحه وحضه من باب نصح الأقران فيما بينهم.

(١) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (١/ ٤١٤).

(٢) الجواهر والدرر (١/ ١٢٤).

محب الدين الخطيب، ومما كتب في ذم التثبيط: «...وقد عجبت من أولئك الذين يسعون في تثبيط الهمم، في هذا الوقت الذي يتنبه فيه الغافل... وكان الأجدر بهم أن يشفقوا على أنفسهم ويشتغلوا بما يعود عليهم وعلى غيرهم بالنفع، ولم يُرَ أحدٌ من المثبطين قديماً أو حديثاً أتى بأمر مهم، فينبغي للجرائد الكبيرة، أن تكثر من التنبيه على ضرر هذه العادة، والتحذير منها، ليخلص منها من لم تستحكم فيه، وينتبه الناس لأربابها ليخلصوا من ضررهم».

قال هذا الأستاذ علي الطنطاوي وأضاف: «وكان الشيخ – طاهر الجزائري – في حياته يشجِّع كل عامل، ولا يثني أحداً عن غاية صالحة، حتى لقد أخبرني أحد المقربين منه أنه قال له: إذا جاءك من يريد تعلم النحو في ثلاثة أيام، فلا تقل له إن هذا غير ممكن. فتفلَّ عزيمته، وتكسر همته[١]، ولكن أقرئه وحبِّب إليه النحو، فلعله إذا أنس به واظب على قراءته»[٢].

* * *

---

(١) قلت: ذكَّرني هذا بما قاله السخاوي عن مصنفات الإمام الكافيجي (ت:٨٧٩هـ): «ومن محاسنها (شرح القواعد الكبرى) لابن هشام، كتبه عنه غير واحد من الفضلاء، وزادت عدةُ كراريس بعض نسخه على الثلاثين، وعَتَبَ على كاتبها لاستدعائه إعراضَ كثيرٍ من قاصري الهمم عنه إذا سمع أنه في هذا المقدار». الضوء اللامع (٧/ ٢٦٠).

(٢) من مقال له بعنوان «التشجيع» ضمن كتابه فكر ومباحث (ص١٤٥). وقد ذكر الأستاذ الطنطاوي في هذا المقال ما حصل لدى بعض المتأخرين من (احتكار علمي) مؤسف، أدى بهم إلى صرف الكثيرين عن العلم!! وممن سُعي فيهم لصرفهم الإمام ابن عابدين، والعلامة محمد كرد علي، لولا لطف الله عز وجل، فارجع إلى هذا المقال واقرأه فهو مهم.

تأليف الكتب الحاثة على الطلب

ومـن العناية بهم تأليفهـم لهم الكتب التي تحثهم عـلى العلم، وتذكر لهم فضله، وترغبهم فيه، وتقدح عزائمهم للإقبال عليه، والالتحاق بأهله:

ومـن الكتـب المميـزة في هـذا المجـال كتـاب الإمـام الأديـب أبي هلال العسـكري (ت بعد:٣٩٥هـ)، المسـمى «الحث على طلـب العلم والاجتهاد في جمعه».

ونقرأ فيه قول مؤلفه أبي هلال: «وإن كنت - أيها الأخ - ترغب في سمو القدر، ونباهة الذكر، وارتفاع المنزلة بين الخلق، وتلتمس عزاً لا تثلمه الليالي والأيـام، ولا تتحيفه الدهور والأعوام، وهيبة بغير سـلطان، وغنىً بلا مال، ومنفعة بغير سلاح، وعلاء من غير عشيرة، وأعواناً من غير أجر، وجنداً بلا ديـوان وفرض، فعليك بالعلم، فاطلبه في مظانه، تأتك المنافع عفواً، وتلق ما تعتمد منها صفواً»(١).

وقد اشتمل هذا الكتاب على الموضوعات الآتية:

- الأمور التي تعين على تحصيل العلم.
- طلب العلم يقدَّم على كل طلب.
- العلم يرفع المملوك حتى يجلسه مجالس الملوك.

---

(١) الحث على طلب العلم (ص٤٨).

- فضل العلم.

- رحلة العلماء في طلب العلم.

- الحرص على لقاء العلماء.

- الحث على حفظ العلم.

- سهولة الحفظ لمن اعتاده.

- رفع الصوت في الحفظ.

- حرص العلماء على القراءة.

- قيمة الذكاء وجودة القريحة.

- الحفظ عند العرب.

- حرص العلماء على تحصيل العلم.

- الكامل من الناس من يعرف فضل العلم.

- الأدب في مجالسة العلماء...وهكذا[1].

* * *

(١) هذه العناوين من وضع محقق الكتاب الدكتور عبد المجيد دياب.

تأليف الكتب في رسم منهج الطلب

- ومن عنايتهم بطلاب العلم تأليفهم لهم الكتب التي تدلهم على الطريق الصحيح في طلب العلم وتختصر لهم المسافات، وتوضح المعالم، وتطلعهم على تجارب السابقين:

ومن الأمثلة على ذلك ما ألفه الحافظ الكبير الخطيب البغدادي (المتوفى سنة ٤٦٣هـ) في هذا المجال، أعني كتابيه العظيمين:

- **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع.**

- **والفقيه والمتفقه.**

فإن هذين الكتابين لا غنى لطالب علم الحديث، وطالب علم الفقه عنهما، ومن المفيد جداً أن أورد هنا ما قاله في مقدمتيهما لنرى اهتمام العلماء بطلاب العلم كيف كان.

قال - رحمه الله - في مقدمة كتابه «الجامع»[1]:

«قد ذكرت في كتاب «شرف أصحاب الحديث» ما يحدو ذا [الهمة] على تتبع آثار رسول الله ﷺ، والاجتهاد في طلبها، والحرص على سماعها، والاهتمام بجمعها، والانتساب إليها، ولكل علم طريقة ينبغي لأهله أن يسلكوها، وآلات يجب عليهم أن يأخذوا بها ويستعملوها.

---

(١) (١/ ١١٥-١٢٠) مع حذف الشواهد التي يذكرها بعد كل فقرة.

وقد رأيت خلقاً من أهل هذا الزمان ينتسبون إلى الحديث، ويعدون أنفسهم من أهله، المتخصصين بسماعه ونقله، وهم أبعد الناس مما يدّعون، وأقلهم معرفة بما إليه ينتسبون، يرى الواحد منهم إذا كتب عدداً قليلاً من الأجزاء، واشتغل بالسماع برهة يسيرة من الدهر، أنه صاحب حديث على الإطلاق، ولما يجهد نفسه ويتعبها في طِلابه، ولا لحقته مشقة الحفظ لصنوفه وأبوابه...

وهم مع قلة كتبهم له، وعدم معرفتهم به أعظم الناس كبراً، وأشد الخلق تيهاً وعجباً، لا يراعون لشيخٍ حرمة، ولا يوجبون لطالبٍ ذمة، يخرقون بالراوين، ويعنفون على المتعلمين، خلاف ما يقتضيه العلم الذي سمعوه، وضد الواجب مما يلزمهم أن يفعلوه...

والواجب أن يكون طلبة الحديث أكمل الناس أدباً، وأشدهم تواضعاً، وأعظمهم نزاهة وتديناً، وأقلهم طيشاً وغضباً، لدوام قرع أسماعهم بالأخبار المشتملة على محاسن أخلاق رسول الله ﷺ وآدابه، وسيرة السلف الأخيار من أهل بيته وأصحابه، وطرائق المحدِّثين، ومآثر الماضين، فيأخذوا بأجملها وأحسنها، ويصدفوا عن أرذلها وأدونها...

وأنا أذكر في كتابي هذا بمشيئة الله ما بنَقَلَة الحديث وحُمَّاله حاجة إلى معرفته واستعماله، من الأخذ بالخلائق الزكية، والسلوك للطرائق الرضية، في السماع والحمل، والأداء والنقل، وسنن الحديث ورسومه، وتسمية أنواعه وعلومه، على ما ضبطه حفاظ أخلافنا، عن الأئمة من شيوخنا وأسلافنا، ليتبعوا في ذلك دليلهم، ويسلكوا بتوفيق الله سبيلهم».

وبهذا يكون قد اتضح ما أراده من تأليف كتابه هذا، الذي يصح أن نطلق عليه أنه المنهج القويم لطلب علم الحديث سلوكاً وعملاً وطريقة، ومن المهم التوقف عند قوله: «ولكل علم طريقة ينبغي لأهله أن يسلكوها، وآلات يجب عليهم أن يأخذوا بها ويستعملوها» الذي يدل بوضوح على فكرته ونيته وهدفه.

وإذا قرأ الطالب هذا الكتاب على شيخ ناصح وتفهمه وطبقه يكون قد سلك أخصر الطريق إلى تحصيل هذا العلم والتخصص فيه والبراعة بمعرفته.

ومن منهج مؤلفه أنه يأتي بالقاعدة أو المَعْلَم أو النصيحة أو التوجيه ثم يسوق الشواهد التي استقى منها ذلك، فهو كتاب نظري وعملي، فرحم الله تلك النفس التي ألهمته وأخرجته.

- أما في كتابه «الفقيه والمتفقه» فقد افتتحه بالحديث عن فضل العلماء الفقهاء ثم قال[1]: «ثم بين رسول الله ﷺ بسنته فرض العلم على أمته، وحث على تعلم القرآن وأحكامه، والسنن وموجباتها، والنظر في ذلك ما يحدو ذا[2] الرأي الأرشد والطريق الأقصد على التفقه في دين الله، والنظر في أحكامه، والاجتهاد في تعلم ذلك وحفظه ودراسته. وأذكر من أصول الفقه، وتثبيت الحجاج، ومحمود الرأي ومذمومه وكيفية الاجتهاد وترتيب أدلته،

---

(١) (١/ ٧٠-٧١).

(٢) يحسن التنبه إلى التماثل بين الكتابين في هذا الأسلوب.

والآداب التي ينبغي أن يتخلق بها الفقيه والمتفقه، واستعمالهما الهدي والوقار والخشوع والإخبات في تعلمهما وتعليمهما، ومما يلزمُ الفقيهَ المجتهدَ والمتفقهَ المسترشدَ[1]، ويجب عليهما، ويستحب لهما، ويكره منهما، ما يتبين نفعه لمن فهمه ووُفِّق للعمل به إن شاء الله تعالى».

ومن الضروري جداً أن يعود هذان الكتابان إلى مناهجنا الدراسية ليستفاد منهما دقة المنهج، ووضوح الهدف، والجمع الأمثل بين العلم والعمل[2].

ولم يكتف العلماء بذلك، بل كتبوا ووضحوا لنا كذلك الطريقة العلمية اللازمة في طلب سائر العلوم، ولننظر «أدب الطلب ومنتهى الأرب» للشوكاني (ت:١٢٥٠هـ) فقد قسم الطلاب إلى أربع طبقات، ورسم لكل طبقة ما ينفعها[3].

وإلى جانب هذا كتبوا للطلاب وبينوا الآداب اللازمة لهم في حياتهم العلمية، ومن ذلك ما كتبه الإمام ابن جماعة (ت:٧٣٣هـ) في كتابه «تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلِّم» فقد جعله خمسة أبواب، عقد الباب الثالث لآداب المتعلم في نفسه، وآدابه مع شيخه وقدوته، وآدابه في دروسه وقراءته في الحلقة، وما يعتمد مع الشيخ والرفقة.

(١) في الأصل: «وممّا يلزمُ الفقيهُ المجتهدُ والمتفقهُ المسترشدُ» وهذا ضبط خطأ فليجتنب.

(٢) وبين هذين الكتابين لحافظ المشرق وكتاب (جامع بيان العلم وفضله) لحافظ المغرب ابن عبد البر أوجه شبه متعددة، وحبذا التوجه إلى كتابة دراسة فاحصة تتناول هذا الموضوع، وقد توفي الحافظان في سنة واحدة، وهي (٤٦٣هـ).

(٣) اقرأ: أدب الطلب (ص١١٢-١٥٨).

وعقد الباب الرابع للأدب مع الكتب التي هي آلة العلم وما يتعلق بتصحيحها، وضبطها، وحملها ووضعها، وشرائها وعاريتها ونسخها وغير ذلك.

وعقد الباب الخامس لآداب سكنى المدارس للمنتهي والطالب، لأنها مساكنهم في الغالب[1].

- وجاء بعده العلامة بدر الدين الغزي (ت:٩٨٤هـ) وألف كتابه الرائع « **الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد** » فأكد ما سبق وزاده بياناً.

- ومن الشعر النافع الماتع الذي يدخل في هذا الباب، ويقرأ في ذلك المحراب نصيحة لطلاب العلم، واختصاراً للمسافات، وبياناً للمهمات ما قاله الكاتب البليغ الرفيع الشأن أبو الفتح النطنزي: محمد بن علي بن إبراهيم (ت: في حدود ٥٥٠هـ):

يا طالباً للعلم كي يحظى به ... دنيا وديناً حظوةً تعليه

اسمعه ثم احفظه ثم اعمل به ... لله ثم انشره في أهليه[2]

- ومن قبله قال الإمام عبد الله بن المبارك (ت:١٨١هـ): «أول العلم: النية، ثم الاستماع، ثم الفهم، ثم العمل به[3]، ثم الحفظ، ثم النشر»[4].

---

(١) اقرأ: تذكرة السامع والمتكلم (ص٧٩-١٣٤).

(٢) الوافي بالوفيات (٤/ ١٦٢).

(٣) تحرف في الديباج المذهب (١/ ٤٠٨) وغيره إلى: العلم!.

(٤) أخبار أبي حنيفة وأصحابه للصيمري (ص١٣٧).

وقال أبو حامد الغرناطي: محمد بن عبد الرحيم القيسي (٤٧٣-٥٦٥هـ):

العلم في القلب ليس العلم في الكتب

فلا تكن مغرماً باللهو واللعب

فاحفظه وافهمه واعمل كي تفوز به

فالعلم لا يجتنى إلا مع التعب[١]

وقال الشاعر غياث بن محمد الدهستاني:

ليس إلى ما تريد ما لم   تلتق أسبابه مساغُ

والعلم من شرطه ثلاث: المال والصحة والفراغُ[٢]

- ومما ينشد في المحضرة الموريتانية للدلالة على طريق أخذ العلم:

كتبٌ إجازةٌ وحفظُ الرسمِ   قراءةٌ تدريس: أخذُ العلمِ

ومَنْ يقدِّم رتبة عن المحل   من المراتبِ المرامَ لم ينل[٣]

* * *

(١) الوافي بالوفيات (٣/ ٢٤٩).

(٢) دمية القصر (٢/ ٥٤).

(٣) أنشدنيها الأخ الشيخ محمد عبد الله ولد التمين، الباحث في دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي. وفي هذا الموضوع حاجة إلى تتبع واستيفاء.

إرشاد المعلمين في تعليم الطلاب

ومنها إرشـاد المعلمين إلى الآداب التي ينبغي لهم أن يراعوها مع طلبتهم وتلامذتهم:

وقـد ذكروا هذا في الكتـب التي وضعوها في أدب العلـم، ومن ذلك ما كتبـه العلامة بدر الديـن الغزي (ت: ٩٨٤هـ) في كتابه «الدر النضيد في أدب المفيـد والمسـتفيد» فقد أقام كتابه على سـتة أبواب، جعل البـاب الثالث منها لآداب المعلم والمتعلم وهي كما يقول ثلاثة أنواع:

النوع الأول: آداب اشتركا فيها، وهي منقسمة إلى قسمين...

النوع الثاني: آداب يختص بها المعلم، وهي تنقسم ثلاثة أقسام:

القسم الأول: آدابه مع نفسه.

القسم الثاني: آدابه مع طلبته.

القسم الثالث: آدابه في درسه.

النوع الثالث: آداب يختص بها المتعلم، وهي ثلاثة أقسام...

والذي يهمنا هنا القسم الثاني من النوع الثاني، وقد ذكر فيه الآداب الآتية التي تبين عظيم اهتمام العلماء بالطلاب، وسأقتصر على العناوين تاركاً الشرح للقارئ ليعود إلى الكتاب بنفسه، وهذه الآداب هي كما قال:

- ينبغي للمعلم إذا لمح في المتعلم الخير وأنس فيه الرشـد، أن يؤدبه على التدريج بالآداب السـنية والشـيم المرضية، ورياضة نفسه بالآداب والدقائق الخفية، ويعوِّده الصيانة في جميع أموره الخافية والجلية.

- **ومنها**: أن يرغبه في العلم ويذكِّره بفضائله وفضائل العلماء.

- **ومنها**: أن يحب له ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه من الشر.

- **ومنها** - وهو أعم مما قبله -: أن يزجره عن سـوء الأخلاق وارتكاب المحرمـات أو المكروهـات، أو مـا يؤدي إلى فسـاد حال، أو ترك اشـتغال... بطريـق التعريض ما أمكن لا بطريق التصريح. وذكر الشـيخ الغزي هنا متى ينهـاه جهـراً، ومتى يلجـأ إلى طرده والإعـراض عنه إلى أن يرجع إلى رشـده وهو مهم.

- **ومنها**: أن لا يتعاظم على المتعلمين بل يلين لهم ويتواضع.

- **ومنهـا**: أن يوقرهـم ويعظمهـم ويحسـن خلقـه معهـم ويتلطـف بهم ويرحب بهم إذا لقيهم وعند إقبالهم عليه.

- **ومنهـا** - وهـو من تتمة ما ذكر -: إذا غـاب أحد منهم أو من ملازمي الحلقة زائداً على العادة سأل عنه وعن أحواله ومن يتعلق به...

- **ومنهـا**: ينبغي أن يسـتعلم أسـماء طلبته وحاضري مجلسـه وأنسـابهم ومواطنهم وأحوالهم ويكثر الدعاء لهم.

- **ومنها**: أن يكون سمحاً ببذل ما حصلَّه من العلم، سهلاً بإلقائه إلى مبتغيه، متلطفاً في إفادته طالبيه...

- **ومنها** - كما قال الغزالي رضي الله عنه -: صد المتعلم عن أن يشتغل بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين...

- **ومنها**: أن يكون حريصاً على تعليمهم، باذلاً وسعه في تفهيمهم، وتقريب الفائدة إلى أذهانهم، مهتماً بذلك، مؤثراً له على حوائجه ومصالحه ما لم يكن ضرورة...[1].

- **ومنها**: أن يذكر لهم قواعد الفن التي لا تنخرم مطلقاً أو غالباً مع مستثنياتها أن لو كانت...

- **ومنها**: أن يحرضهم على الاشتغال في كل وقت، ويطالبهم في أوقات بإعادة محفوظاتهم، ويسألهم عما ذكره لهم من المهمات...

- **ومنها**: ينبغي له أن يطرح على أصحابه ما يراه من مستفاد المسائل ويختبر بذلك أفهامهم...

- **ومنها**: إذا فرغ من شرح درس فلا بأس بطرح مسائل تتعلق به على الطلبة...

- **ومنها**: أن ينصفهم في البحث فيعترف بفائدة يقولها بعضهم وإن كان صغيراً، فإن ذلك من بركة العلم...

---

(١) وقد ذكر هنا (ص١١٣) الطريقة المثلى في إلقاء الدرس فليقرأ.

- **ومنها**: أن لا يظهر للطلبة تفضيل بعضهم على بعض عنده في مودة أو اعتناء مع تساويهم في الصفات...

- **ومنها**: أن يقدّم في تعليمهم إذا ازدحموا الأسبق فالأسبق...

- **ومنها**: إذا سلك الطالب في التحصيل فوق ما يقتضيه حاله أو تحمله طاقته وخاف ضجره، أوصاه بالرفق بنفسه...

- **ومنها**: إذا كان متكفلاً ببعض العلوم لا ينبغي له أن يقبح في نفس الطالب العلوم التي وراءه...

- **ومنها** - وهو من المهم -: أن لا يتأذى ممن يقرأ عليه إذا قرأ على غيره[1].

ثم تكلم الغزي على آداب المعلِّم في درسه، وهي آداب كذلك في مصلحة الطالب فلتراجع وتقرأ ويهتم بها.

* * *

(١) انظر: الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد (ص١٠٨-١١٨).

الوصية بهم

ومن العناية بهم: الوصية بهم والحض على احتمالهم وإفادتهم:

- قال الإمام أبو حنيفة في وصيته لأبي يوسف: «وأقبل على متفقهيك كأنك اتخذت كل واحدٍ منهم ابناً وولداً لتزيدهم رغبة في العلم»[1].

- وقال الربيع بن سليمان: «كتب إليَّ أبو يعقوب البويطي من الحبس: أن اصبر نفسك للغرباء، وأحسن خلقك لأهل حلقتك، فإني لم أزل أسمع الشافعي يكثر أنْ يتمثل بهذا البيت:

أهين لهم نفسي لكي يكرمونها

ولن تكرم النفس التي لا تهينها»[2].

- وقال الإمام أحمد بن حنبل لابنه: «أَفِدْ أصحاب الحديث وأكرمهم، فإن إبراهيم بن بكر بن عياش لم يكن يفيد أصحاب الحديث ويجفوهم فلم يفلح.

وروى الحاكم في تاريخه عن الإمام عبد الله بن المبارك قال: مَنْ بخل بالعلم ابتلي بثلاث: إمَّا أن يموتَ فيذهب علمه، وإمَّا أَنْ ينسى حديثه، وإمَّا أَنْ يُبتلى بالسلطان»[3].

---

(١) انظر: الوصية في آخر الأشباه والنظائر لابن نجيم (ص٤٣٠).

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ١٠٠-١٠١).

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ١٠٥). وروى الخطيب هذا القول عن سفيان الثوري بلفظ مقارب، والثالثة عنده: أن تذهب كتبه. الجامع (١/ ٣٧٠).

- ومن ذلك الكتابة إلى العلماء بالوصاة بهم، ومن هذا:

- رسالة الإمامين الحافظين يحيى بن معين وأحمد بن حنبل إلى أبي داود الطيالسي بشأن الإمام الحافظ عباس بن محمد الدوري البغدادي (١٨٥-٢٩١هـ):

قال الذهبي: «قال إسماعيل الصفار: سمعت عباساً الدوري، يقول: كتب لي يحيى بن معين وأحمد بن حنبل إلى أبي داود الطيالسي كتاباً، فقالا فيه: إن هذا فتىً يطلب الحديث، وما قالا: من أهل الحديث.

قلت: كان مبتدئاً له سبع عشرة سنة، ثم إنه صار صاحب حديث، ثم صار من حفاظ وقته»[١].

والشاهد أن هذين الإمامين كتبا لعباس أياً كان اللفظ.

- ومن ذلك رسالة الحافظ أبي بكر البرقاني[٢] إلى الحافظ أبي نعيم الأصبهاني محدث أصبهان، يوصيه بأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، يقول في فصل منها:

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٢٣).

(٢) هو الإمام الحافظ شيخ الفقهاء والمحدثين أحمد بن محمد الخوارزمي الشافعي شيخ بغداد. قال الخطيب: كان ثقة ورعاً ثبتاً لم نر في شيوخنا أثبت منه، عارفاً بالفقه، له حظ من علم العربية كثير، صنف (مسنداً) ضمنه ما اشتمل عليه صحيح البخاري ومسلم... وكان حريصاً على العلم منصرف الهمة إليه. ولد سنة (٣٣٦هـ) وسكن بغداد، ومات بها سنة (٤٢٥هـ). من ترجمته النافعة المحفزة في تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٧٤-١٠٧٥).

«وقـد نفذ إلى مـا عندك عمداً متعمداً أخونا أبـو بكر أحمد بن علي بن ثابت – أيده الله وسلمه – ليقتبس من علومك، ويستفيد من حديثك، وهو – بحمد الله – ممن له في هذا الشـأن سـابقة حسـنة، وقـدمٌ ثابتة، وفهم به حسن، وقد رحل فيه وفي طلبه، وحصَل له منه ما لم يحصل لكثير من أمثاله الطالبين له، وسـيظهر لك منه عند الاجتماع مـن ذلك مع التورع والتحفظ وصحة التحصيل ما يحسن لديك موقعه، وتجمل عندك منزلته.

وأنـا أرجـو إذا صحَّـتْ منـه لديـك هـذه الصفـة، أن تلين لـه جانبك، وأن تتوفـر لـه، وتحتمل منه ما عسـاه يـورده مـن تثقيل في الاسـتكثار، أو زيـادة فـي الاصطبـار، فقديمـاً حمل السـلف عـن الخلـف ما ربمـا ثقل، وتوفروا على المسـتحق منهم بالتخصيص والتقديـم والتفضيل، ما لم ينله الكل منهم»[1].

– ومنه كتابة العلامة الشـيخ علي بن صادق الداغستاني الشافعي نزيل دمشق (ت: قبل ١٢٠٥هـ) إلى الإمام محمد مرتضى الزبيدي:

قال الزبيدي في ترجمته:

«الإمـام العلامـة، فـارس المعقول، والمقـدام في الفـروع والأصول. قـرأ العلـم في بلاده فأتقنه ومهـر فيه، ثم ورد حلب وحضر دروس الشـيخ محمود بن محمد الأنطاكي... وورد دمشق فتديرها، وألقى الدروس تحت

(١) معجم الأدباء (١/ ٣٩٥).

قبة النسر، وحضرة غالب أهل بلده، وكان حسن التقرير، حسن الإملاء، حسن التحرير، رأساً في السنة، جبلاً من جبال العلم، وانتهت إليه الرئاسة والشهرة.. وصل إلي كتاب منه مرتين بالتوصية على بعض أتباعه...»[1].

* * *

(١) المعجم المختص (ص٥٢٩).

نور الصباح

- سؤالهم لتحفيزهم ومعرفة منزلتهم.

- الحرص التام على تعليمهم.

- الدلالة على الشيوخ النفاعين.

- الصبر عليهم وتحملهم.

- عدم أخذ شيء منهم أو استخدامهم.

- مساعدتهم بالمال والجاه وإكرامهم.

- مساواتهم بالنفس في التعامل.

- مراعاة أحوالهم المعاشية.



سؤالهم لتحفيزهم ومعرفة منزلتهم

ومن عناية العلماء بالطلاب طرح أسئلة عليهم عند أول اللقاء بهم، أو في حين الأخذ والتلقي، وذلك لتحفيزهم، ومعرفة منزلتهم من العلم والتحصيل، ليعاملوهم وفق ذلك، وهو ما يمكن أن يسمى امتحان المقابلة.

- ومن الأمثلة على ذلك ما جرى لسعيد بن إسحاق الجشمي مع شيخه النحوي اللغوي خلف بن مختار الأطرابلسي المغربي (ت:٢٩٠هـ):

قال سعيد: «سألت خلف بن مختار أن أقرأ عليه قصيدة النابغة: (يا دار مية). فقال: افعل، فأنشدته حتى انتهيت إلى قوله:

وظل يعجُمُ أعلى الروق مُنْقَبضاً

في حالك اللون صَدْقٍ غير ذي أَوَدِ

فقال لي: لتخبرني - وقد علمت ما أراد - ما الصَّدق؟ فقلت: لا أعلم، قال: فما الصِّدق - بالكسر -؟ قلت: الصِّدق من القول. فقال لي: فيجب عليك أن تروي ما تعرف، وتدع ما لا تعرف. فأنشدته بالكسر، لأعلم ما يكون منه، فرأيته يبتسم، وكان إنشادي لها ليلاً في المسجد الجامع - وكنت أحفظها - ، فقلت له: لم تبسمت؟ الصَّدْقَ: الصُّلْب، وكذلك الرواية، ولكن تجاهلت لك لأعلم ما يكون منك.

فخجـل من ذلك، وقال: أنشـد ما أحببـت، فإني لا أخفي عنك شـيئاً. فكان بعد تلك الليلة كما وعد»[1].

وخلـف بـن مختـار قـال عنـه القفطـي: «كان صاحـب نحـو ولغـة، بخيلاً بعلمه»[2].

- ومنه ما جرى للإمام الذهبي في رحلته إلى مصر:

قـال تلميـذه تـاج الدين السـبكي: «ولما دخل إلى شـيخ الإسـلام ابن دقيق العيد - وكان المذكور شـديد التحري في الإسـماع - قال له: من أين جئت؟ قال: من الشـام. قال: بم تعرف؟ قـال: بالذهبي. قال: من أبو طاهر الذهبي؟ فقال له: المخلص. فقال: أحسنت. مَنْ أبو محمد الهلالي؟ قال: سـفيان بن عيينة. قال: أحسـنت اقـرأ. ومكنه من القراءة عليـه حينئذ إذ رآه عارفاً بالأسماء»[3].

- ومنه ما جرى للحافظ ابن حجر مع شيخه سراج الدين البلقيني:

قال الحافظ: «وقرأت عليه كتاب (دلائل النبوة) للبيهقي... وجرت لي معه في حال قراءتها نوادر، وذلك أنه كان يستكثر ما يقع من النكت الحديثية

---

(١) إنباه الرواة (١/ ٣٨٦).

(٢) المصدر السابق.

(٣) طبقات الشـافعية الكبرى (٩/ ١٠٢)، والنـص في الجواهر والدرر (١/ ٢٦٨): «بلغنا أن الحافـظ الذهبـي أول ما اجتمـع بالتقي ابن دقيـق العيد، أحب التقي امتحانه بما يسـتدل بـه عـلى معرفته، فقال لـه: من أبو العباس الذهبـي؟ فبادره الذهبي بقولـه: هو أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص. فقال له التقي: أنت حافظ».

في المجلس، ويقول: هذا لا يصدر إلا عن تبييت مطالعة ومراجعة، فكنت أتنصل من ذلك، فلا يقبل، إلى أن أمرني بترك الجزء الذي يقرأ فيه عنده تلك الليلة، وكان يعرف أن لا نسخة لي به، فتركته عنده. فلما أصبحنا وشرعت في القراءة مرَّ إسناد فيه: حدثنا تمتام، فقطع عليَّ القراءة، وقال: مَنْ تمتام هذا؟ فإنني راجعت الأسماء فلم أجده، وظننته تصحيفاً. فقلت له: بل هو لقب، واسمه محمد بن غالب بن حرب، حافظ مشهور. قال: مَنْ ذكره؟ قلت: الخطيب في (تاريخ بغداد)، وله ترجمة عندكم في (الميزان) للذهبي، لأن بعض الناس تكلم فيه. فسكت الشيخ، وقال له ولده جلال الدين وأنا أسمع: هذا حافظ فلا تمتحنه بعدها.

وأحضرت للشيخ بعد ختم الكتاب الجزءَ الأولَ من (تغليق التعليق) والتمست أن يفهرس أوله[1]، ففعل، ووصفني بالحفظ والفضل، وتبعه شيخنا العراقي، والقاضي جلال الدين وغيرهما»[2].

وروى السخاوي أن البلقيني قال له: يا شيخ شهاب الدين، اقرأ فقد أقررنا لك»[3].

* * *

(١) أي يكتب تقريظاً.

(٢) المجمع المؤسس للمعجم المفهرس (٢/ ٣٠٥-٣٠٦).

(٣) الجواهر والدرر (١/ ٢٦٧).

الحرص التام على تعليمهم

ومـن العنايـة بهم الحرص الشـديد التام على تعليمهم، وبذل الوسـع في تفهيمهـم، واتبـاع أفضـل الأسـاليب لتخريجهـم. ولنتأمل في هـذه الأقوال والمواقف:

- جاء عن الإمام الحافظ هشـام بن حسـان (ت:١٤٦هـ) أنه كان يقول لأصحاب الحديث:

«لوددتُ أني قارورة حتى كنت أقطر في حلق كل واحدٍ منكم»[١].

- وجـاء عن الإمام سـفيان الثـوري (ت:١٦١هـ) أنه قـال:«والله لو لم يأتوني لأتيتهم في بيوتهم- يعني أصحاب الحديث -»[٢].

- ومن ذلك ما جاء عن الإمام الشافعي (ت:٢٠٤هـ):

قال تلميذه الربيع بن سليمان المرادي (١٧٣-٢٧٠هـ):«قال لي الشافعي: لو أستطيع أن أطعمك العلم لأطعمتكه»[٣].

وفي هذا السياق ما جاء عن هؤلاء العلماء:

---

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٦١).

(٢) جامع بيان العلم (١/ ٤٧٣).

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ١٤٧)، باب ما يؤثر عنه في فضل العلم والترغيب في تعلمه وتعليمه والعمل به. وجامع بيان العلم (١/ ٤٧٣).

- الإمام الحافظ الفقيه عبد الله بن وهب (ت:١٩٧هـ):

قال الإمام سحنون بن سعيد: كان ابن وهب قد قسّم دهره على ثلاثة أجزاء: فكان أربعة أشهر يُعلِّم الناس، وأربعة أشهر في الرباط بالإسكندرية، وأربعة أشهر في الحج[١].

وربما زاد للتعليم شهراً فقد جاء عن سحنون أيضاً: أن عبد الله بن وهب كان من العابدين، وكان قد جزّأ سنته، فكان يرابط بالإسكندرية شعبان وشهر رمضان، ثم يقبل إلى مصر في شوال، فيأخذ في جِهازه إلى مكة، ثم يخرج في ذي القعدة فيقيم في حَجِّه: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وصفر، ثم يقعد في مصر يُسمع الناس ويعلِّمهم شهر ربيع الأول والآخر وجمادى الأولى والآخرة ورجب، فكان هذا عمله رحمه الله[٢].

- وجاء في ترجمة الإمام أبي عثمان بكر بن محمد المازني (ت:٢٤٨ أو ٢٤٩هـ):

«كان المازني من فضلاء الناس ورواتهم وثقاتهم، وكان متخلقاً رفيقاً بمن يأخذ عنه، فذكر محمد بن يزيد عنه قال: قرأ عليَّ رجل كتاب سيبويه في مدة طويلة، فلما بلغ آخره قال لي: أما أنت فجزاك الله خيراً، وأما أنا فما فهمت منه حرفاً»[٣].

والشاهد أنه رفق به وصبر عليه وأعذر تجاهه.

---

(١) رواه ابن بشكوال في كتابه أخبار ابن وهب وفضائله (ص٩٦).
(٢) رواه ابن بشكوال كذلك في كتابه المذكور (ص١٣٠).
(٣) إنباه الرواة (١/ ٢٨٣).

- وقد حكى أبو حيان التوحيدي في كتابه محاضرات العلماء عن مجلسٍ علميٍ لأبي سعيد السيرافي (ت:٣٦٨هـ) قال: «وكان الشيخ يبين لبعض أصحابه الفرق في قوله تعالى: ﴿ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات:٢٣]، والاحتجاج عمن نصبه ورفعه».

وكان هناك زائر لا يفهم من الكلام شيئاً وطلب أن يفهم، ولكن الشيخ رأى فيه عدم الأهلية وسكت عنه، قال أبو حيان: «وجعل أبو سعيد - على عادته - يبيّن ويوضح ويتكلم وينثر الدرر ولا يهدأ ولا يفتر لسانه ولا يجف ريقه»[1].

وهذا وصف دقيق جميل دال على ما كان يزخر به أسلوب أبي سعيد السيرافي في دروسه ومحاضراته.

- وجاء عن العالم النبيل النحوي اللغوي مسلم بن أحمد القرطبي (٣٧٦-٤٣٣هـ):

أنه: «كان لتلاميذه كالأب الشفيق والأخ الشقيق، يجتهد في تبصيرهم، ويتلطف في ذلك»[2].

ومن هذا ما جاء عن هؤلاء العلماء الأجلاء الناصحين:

---

(١) معجم الأدباء (٢/ ٨٨١).

(٢) إنباه الرواة (٣/ ٢٦١).

- الشيخ الفقيه كمال الدين مودود ابن الشاغوري الشافعي (ت:٦١٢هـ):

قال ابن كثير: «كان يقرئ بالجامع الأموي الفقه وشرح التنبيه للطلبة، ويتأنى عليهم حتى يفهموا احتساباً»[١].

- الإمام النحوي المبارك بن المبارك بن سعيد ابن الدهان، أبو بكر الضرير المعروف بالوجيه الواسطي ثم البغدادي (ت:٦١٢هـ):

قال تلميذه ياقوت الحموي في ترجمته: «كان يحسن بكل لغة، من الفارسية والتركية والحبشية والرومية والأرمنية والزنجية، فكان إذا قرأ عليه عجمي واستغلق عليه المعنى بالعربية فهمه إياه بالعجمية على لسانه، وكان حسن التعليم، طويل الروح، كثير الاحتمال للتلامذة»[٢].

- الإمام موفق الدين ابن يعيش الحلبي النحوي (٥٥٣-٦٤٣هـ):

قال تلميذه ابن خلكان: «كان حسن التفهيم لطيف الكلام طويل الروح على المبتدئ والمنتهي»[٣].

وقال: «انتفع به خلق كثير من أهل حلب وغيرها، حتى إن الرؤساء الذين كانوا بحلب ذلك الزمان كانوا تلامذته»[٤].

---

(١) البداية والنهاية (١٣/ ٩٧).

(٢) معجم الأدباء (٥/ ٢٢٦٣)، وقد أورد خبراً عن احتماله فانظره.

(٣) وفيات الأعيان (٧/ ٤٨).

(٤) وفيات الأعيان (٧/ ٥٢).

- الإمـام العلامـة المفنـن شـهاب الديـن أحمـد بـن إدريـس القـرافي (ت:٦٨٤هـ):

قـال تلميـذه الشـيخ محمد بن عبـد الله بن راشـد البكـري القفصي: «ثم رحلت للقاهرة، إلى شـيخ المالكية في وقته، فقيد الأشـكال والأقران، نسـيج وحـده، وثمر سـعده، ذي العقل الوافي، والذهن الصافي، الشـهاب القرافي، كان مـبرزاً عـلى النظـار، محرزاً قصب السـبق، جامعـاً للفنـون، معتكفاً على التعليـم على الـدوام، فأحلني محل السـواد مـن العين، والروح من الجسـد، فجلت معه في المنقول والمعقول...»[1].

فانظـر إلى هذه العناية الفائقة بالإقبـال عليه، وتعليمه، والجولان معه في ميادين المنقول والمعقول!.

- الشيخ أحمد بن محمد أبو العباس الأنصاري الفيشي المعروف بالحناوي (٧٦٣-٨٤٨هـ):

قـال السـخاوي: «كان حسـن التعليـم للعربية جـداً نصوحـاً، وله فيها مقدمة سـماها الدرة المضية في علم العربية، مأخوذة من شـذور الذهب، كَثُرَ الاعتنـاء بتحصيلها، وحرص هو على إفادتها بحيث كان يكتب النسـخ منها بخطـه للطلبـة ونحوهم، وكنت ممن أعطاني نسـخة بخطه، حكى أن سـبب تصنيفهـا أنـه بحث الألفيـة جميعها في مبدأ حاله فلم يفتـح عليه بشيء، فعلم

(١) نيل الابتهاج (٢/ ٤٤).

أنه لا بد للمبتدئ من مقدمة يتقنها قبل الخوض فيها أو في غيرها من الكتب الكبار أو الصعبة، ولذا لم يكن يقرئ المبتدئ إلا إياها»[١].

- العلامة الشيخ الصالح نور الدين السنهوري الضرير (ت:٩٢٣هـ):

قال الشعراني: «كان الخلائق مقبلين عليه، لا تقوم طائفة إلا وتدخل عليه أخرى، حتى أن بعضهم أكمل درسه على السِراج... ورأيته مرات يأكل والناس يقرؤن عليه، لا يجد وقتاً خالياً للأكل لكثرة اشتغال الناس عليه»[٢].

- الفقيه الصالح القاضي عفيف الدين عبد الله بن أحمد سرومي الشِّحري (ت:٩٤٣هـ):

قال العيدروس في ترجمته: «كان - رحمه الله تعالى - يحب الطلبة ويؤهلهم، ويحب الإفادة والاستفادة، وكان لطيفاً، قريب الجانب، سليم الباطن»[٣].

- العالم الذكي مصطفى الحلاق (ت:١٣٢٩هـ):

جاء في ترجمته أنه «كان في خلال تردده على شيوخه يقرئ الطلبة، وربما قضى معظم الليل معهم»[٤].

---

(١) الضوء اللامع (٢/ ٦٩-٧٠).
(٢) الطبقات الصغرى (ص٦٠).
(٣) النور السافر (ص٢٨١).
(٤) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (١/ ٢٦٩).

- العلامة المصلح الأستاذ الشيخ طاهر الجزائري (ت:١٣٣٨هـ):

نقرأ في ترجمته أنه «لم يكن نهج المترجم التدريس بالحلقات، بل كان يعلِّم من يأنس منهم النجابة بأسلوب لا كلفة فيه...

وكان نهجه في التعليم تقصير الطريق على المتعلم، وإعطاءه لُباب العلم دون التعمق بما لا يفيد، والأخذ بالتدريج من البسائط إلى المركبات»[١].

- العالم الفرضي الشيخ كمال الدين الخطيب شهيد ميسلون (ت:١٣٣٨هـ):

«درّس الطلاب بحلقات يعقدها في بيته، وفي عدد من المدارس... دون أن يأخذ على دروسه أجراً، وكان يلقي كثيراً من الدروس على ضوء الشموع»[٢].

- العالم الفاضل المدرس القدير الشاعر الأديب محمد الداودي (ت:١٣٤٥هـ):

قال عنه تلميذه الأستاذ ظافر القاسمي: «...يأخذ في إلقاء درسه على الطلاب بصوت جهوري يسمعه كل مَنْ في القاعة، وقد يتجاوز طلابه في السنين الأولى التسعين.

(١) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (١/ ٣٧٠).
(٢) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (١/ ٣٨١).

وكان لـه ترتيـل في إلقاء الدروس لم أعهده في أحدٍ من أسـاتذتي في جميع مراحـل التعليـم... وقـد يسـتعين بالعاميـة إلى جانـب الفصحـى في بعـض دروسه.. وكان التشجير طريقته المفضلة في تلقين النحو والصرف.. والنحو مـادة صعبة ذلَّلهـا الـداودي بتمكنـه منها وطـولِ معاشرتـه لكتبهـا وذوقهِ في تلقينها»[1].

- الإمام الشيخ بدر الدين الحسني (ت: ١٣٥٤هـ):

«وطريقتـه في الـدرس أن يقرأ الطالب في الكتاب الذي يدرسـه - ويقرأ هـو أحيانـاً قليلـة - وكلـما انتهى مـن قـراءة مسـألة أو قضية أعـاد المحدِّث تقريرها ووضحها، وحل مشـكلاتها، فيتوسـع ويفيـض، أو يختصر ويوجز، بحسب المقام.

وقـد يسـأل الطالب عـما فهم، ويطلب إليـه إعادة الـشرح إذا تبين له أن هناك مَنْ لم يفهم، أو سكت حياءً، وقد يتظاهر الشيخ بأنه لم يفهم هو المسألة فيقول: «يابا ما ظهر لي»، ثم يطلب كتاباً، أو مرجعاً يشرحها، فيتناوله بسرعة من جانبه، أو من فوق أحد الرفوف، ويقرأ ما يتعلق بالبحث.

ويُعِـدُّ المحدِّثُ قبـل موعدِ الدرسِ الكتـبَ المتعلقة به ليرجـع إليها عند الضرورة، ويمضي في الدرس حتى ينتهي موعده المقرر له...»[2].

---

(١) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (١/ ٤١٨).
(٢) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (١/ ٤٨٢-٤٨٣).

و«كان مرناً كل المرونة في مناقشاته مع الطلاب، ومع نفسه، يصغي لهم ولآرائهم بإدراك واسع يكتنفه تحقيق وذهنية علمية عجيبة، ومحاكمة منطقية سديدة متأملة، من ذلك أن طلابه ذكروا له أن الماء ليس جسماً بسيطاً كما يظنه القدماء، بل هو مركَّب من عنصرين مختلفين، فتلقى ما قيل بتمعن، وسأل أسئلة العالم الواعي الذي لا يهمه من أين يأتيه هذا العلم الجديد»[١].

«وكان الشباب في درسه نشطين منشرحين لا يخجلون، ولا يخافون حين يستوضحون، يسألون فيجيبهم بصدر رحب غير متململ ولا ضجر»[٢].

- العلامة اللغوي النحوي الأديب المتفنن الشيخ أحمد القلَّاش الحلبي المدني (ت:١٤٢٩هـ):

قال تلميذه الأستاذ الشيخ المحقق محمود ميرة: «قرأت أنا والشيخ عمر العطار على الشيخ أحمد القلَّاش في مسجده في حي المشاطية بحلب «شرح الألفية» لابن عقيل في (١٧) يوماً، لأننا كنا نجلس من الصباح إلى الظهر»[٣].

* * *

(١) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (١/ ٤٨٥).
(٢) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (١/ ٤٨٩).
(٣) من مقابلة معه منشورة على شبكة المعلومات الدولية.

الدلالة على الشيوخ النفاعين

ومن عناية العلماء بطلاب العلم دلالتهم على الشيوخ الذين يمكن أن ينتفعوا بهم، وإرشادهم إليهم.

- ومن هؤلاء الإمام العلامة محمد بن عمر الواقدي، صاحب التصانيف والمغازي (ت:٢٠٧هـ):

قال أبو عامر العقدي: ما كان يفيدنا الشيوخ والحديث إلا الواقدي.

وقال مصعب الزبيري: حدثني من سمع عبد الله بن المبارك يقول: كنت أقدم المدينة، فما يفيدني ويدلني على الشيوخ إلا الواقدي[١].

- ومنهم الإمام المتقن الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فُتُوح الحميدي الأندلسي البغدادي (ت:٤٨٨هـ):

قال أبو علي الصدفي: كان الحميدي يدلني على الشيوخ[٢].

- ومنهم العالم الصالح أبو العباس أحمد بن سلمان الحربي الملقب بالسُكَّر (ت:٦٠٠هـ):

قال الفقيه عز الدين عمر بن دهجان البصري المالكي عنه: «كان مفيد الناس في زمانه، يقرأ لهم، وينقل السماعات، ويدلهم على الشيوخ»[٣].

---

(١) تاريخ بغداد (٣/ ٩)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٤٥٨). وقول ابن المبارك كذلك في التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (٢/ ٥٥٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٢٤).

(٣)نقل هذا عنه ابن العديم في بغية الطلب في تاريخ حلب (٢/ ٧٦٤).

-ومنهم الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ):

قال تلميذه السخاوي: «وأما تنبيهه الطلبة على مَنْ ببلده من شيوخ الرواية، وإعطاؤه إياهم الأجزاء والكتب المروية لهم، فعندي من أخباره في ذلك جملة.

وطالما دفع إلي الأجزاء العالية يأمرني بقراءتها على العز بن الفرات. وربما شكوت إليه جفوته وعدم طواعيته لي في القراءة لما أرومه، فيكتب له يرغِّبه في التحديث ويحثه عليه، ويؤكِّد عليه في الاهتمام بشأني، حتى كان العز يتبجح بذلك...

وبالله كلما تذكرت هذا وشبهه من إقباله عليَّ وإحسانه إليَّ، يتصدع قلبي، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وكنت في خدمته مرة على العادة بالمدرسة المحمودية، فعند إرادتي الانصراف قال لي: إلى أين؟ فقلت: إلى ابن الجمال الأميوطي لسماع «سيرة ابن سيد الناس» عليه. فقال: على مَنْ سمعها؟ فقلت: من لفظ أبيه، وأبوه - كما في شريف علمكم - من لفظ المؤلف. فقال لي: سماع عظيم. وإنما قصد بذكر ذلك - مع كونه هو الواقع - الترغيب في سماعها منه...

وكم من مُسْند استدعى به إلى مجلسه لإسماع الطلبة عليه، كالواسطي، والدنديلي، والشمس البيجوري، بل قرأ بنفسه على بعضهم.

وعنـدي أنـه ما قرأ خصـوص «صحيح مسـلم» عـلى ابـن الكويك إلا لتنتـشر روايتـه فيه، وإلا فهو كان قد أخذه قديماً عن البالسي بمثل سـماع ابن الكويك سواء.

وكذا تخريجه: «المشـيخة الباسـمة للقبابي وفاطمة» مـا أراد بها إلا إعلام طلبته بذلك.

ونحـوه تخريجه «مشـيخة البرهان الحلبـي» إلى غير ذلك، مما لا أسـتطيع حصره.

وسـأله صاحبنا الجمال بن السـابق الحموي - جمَّل الله بوجوده - في سنة سـبع وثلاثين (٨٣٧) - كما حكاه لي - أن يرشـده لأعلى الموجودين إسناداً، فذكـر له البدر حسـين البوصيري، والزيـن عبد الرحمن الزركشي، وعائشـة ابنـة القـاضي عـلاء الديـن الكنـاني أمَّ قـاضي المذهب وعالمـه العـز الحنبلي، وقريبتهـا فاطمة. وقال له: إذا سـمعتَ من هؤلاء، تكون مسـاوياً لي في كثير من المرويات».

وختم السخاوي كلامه على هذا بقوله الرائع هذا:

«كل هذا يسيرٌ بالنسبة لما أودعه الله عز وجل في قلبه من النصح والرغبة في نـشر العلـم. ولذلك نشر الله[1] ذكره في الآفـاق، ورفعه إلى المحل الأعلى،

---

(١) في الأصل: إليه. وهو خطأ مطبعي.

بل وراء هذا كله أنه لم يحدِّث بـ«صحيح مسلم» - فيما علمته - إلا بعد وفاة الشيخ زين الدين الزركشي، خاتمة أصحاب البياني فيه بالسماع، لكونه كان أعلى سنداً منه»[1].

- ومن هؤلاء العلامة الحافظ الشيخ أحمد بن محمد النخلي (ت:١١٣٠هـ):

يقول الشيخ عبد الكريم الشراباتي الحلبي (ت:١١٧٨هـ):

«وقد قلَّدني - يعني النخلي - منة سنية حيث كان سبباً في الأخذ عن شيخنا الشيخ عبد الله بن سالم البصري صاحب الأخلاق البهية، فإنه سألني: هل أخذتَ عن الشيخ البصري؟ فقلت: لا أعرفه، وما ذكروا لي في بلدتنا حلب الشهباء إلا جنابكم. فقال: اذهبْ وخذ عنه فإنه من كبار المتقنين، وخاتمة المحدِّثين الضابطين. فلم ألبث أن طرت إليه، وقبلت يده، وتمثلت بين يديه، وهذه صورة ما أجازني به نفعنا الله تعالى به، وأمدنا بمدده، كما شرفنا بالاتصال بسنده»[2] وكان هذا سنة (١١٢٣هـ) وللشراباتي سبع عشرة سنة[3].

(١) الجواهر والدرر (٣/ ١٠٢١-١٠٢٣).

(٢) إنالة الطالبين لعوالي المحدثين للشراباتي (ضمن: الأنوار الجلية في مختصر الأثبات الحلبية للطباخ) (ص٢١٨). وانظر: الإمام عبد الله بن سالم البصري المكي إمام أهل الحديث بالمسجد الحرام (ص٦٧-٦٨).

(٣) ينظر: الأنوار الجلية (ص٢١٨)، والإمام عبد الله بن سالم (ص٢٤٦-٢٤٧).

- ومنهم العلامة اللغوي الجليل سعيد الأفغاني (١٣٢٧-١٤١٧هـ):

قال تلميذه الأستاذ مازن المبارك في كتابه عنه: «كان يحض طلابه على التزام مجالس العلم، وزيارة أفاضل العلماء، والجلوس إليهم، وقد أعطاني حين أوفدت إلى مصر عدداً من عنوانات أصدقائه في مصر ووجهني إليهم»[1].

- ويدخل في هذا نصيحتهم والاختيار لهم في الرحلة، ومن هذا ما جرى للخطيب البغدادي، عندما أراد الرحلة إلى ابن النحاس إلى مصر، ويحدثنا عن هذا فيقول:

«فاستشرت البرقاني هل أرحل إلى ابن النحاس إلى مصر أو أخرج إلى نيسابور إلى أصحاب الأصم؟ فقال: إنك إنْ خرجت إلى مصر إنما تخرج إلى رجل واحدٍ إنْ فاتك ضاعت رحلتُكَ، وإنْ خرجت إلى نيسابور ففيها جماعة إنْ فاتك واحد أدركت مَنْ بقي. فخرجت إلى نيسابور»[2].

* * *

(١) سعيد الأفغاني حامل لواء العربية وأستاذ أساتيذها (ص٣٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٧٥)، وطبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٣٠).

الصبر عليهم وتحملهم

ومن العناية بهم الصبر عليهم وعلى تدريسهم وتعليمهم وعدم الضجر من ذلك، وتحمل ما يبدر منهم وعدم معاقبتهم. ولنتأمل هذه الطاقة من الأخبار والمواقف والأقوال:

- الإمام عبد الله بن وهب المصري (ت:١٩٧هـ):

«قال الربيع صاحب الشافعي: جئنا عبد الله بن وهب للسماع، فسقط وشج وجهه، فقال: ما هذا إلا الخفة وقلة الوقار - ونحو هذا -، والله لا أسمعتكم اليوم حرفاً، ثم قعد وقعدنا، فلما رأى ما بنا من الهدوء، قال: أين سكينة العلم؟! إنما أنا أكفِّر عن يميني وأسمعكم اليوم. فكفّر وأسمعنا»(١).

- الإمام أبو عبد الله محمد بن وضاح الأندلسي (ت:٢٨٧هـ):

قال ابن فرحون: «كان إماماً ثبتاً، عالماً بالحديث، بصيراً به، متكلماً على علله، كثير الحكايات عن العباد، ورعاً فقيراً، زاهداً متعففاً، صابراً على الإسماع، محتسباً في نشر علمه، سمع الناس منه كثيراً، ونفع الله به أهل الأندلس»(٢).

- الإمام الفقيه الورع أحمد بن أبي سليمان المعروف بالصواف (ت:٢٩١هـ):

قال ابن فرحون: «ذكره أبو العرب وأثنى عليه ثناء طويلاً، صحب سحنون عشرين سنة، وأسمع الناس عشرين سنة.

---

(١) ترتيب المدارك (٣/ ٢٣٨-٢٣٩).

(٢) الديباج المذهب (٢/ ١٨٠).

وكان يقول للمشتغلين: أنا حبسٌ، وكتبي حبسٌ»[1].

- الإمام أبو القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال القرطبي (ت:٥٧٨هـ):

قال ابن فرحون في ترجمته: «وكان موصوفاً بالصلاح، وسلامة الباطن، وصحة التواضع، وصدق الصبر للراحلين إليه، ولين الجانب، وطول الاحتمال في الكَبْرة للإسماع، رجاء المثوبة»[2].

- الإمام الفقيه الأديب أبو عبد الله محمد بن سعيد الأنصاري الإشبيلي المعروف بابن زرقون (٥٠٢-٥٨٦هـ):

قال ابن فرحون: «كان أحد سروات الرجال، حافظاً للفقه، مبرزاً فيه... مع البراعة في الأدب، والمشاركة في قرض الشعر، صبوراً على الجلوس للإسماع، مع الكبرة، يتكلف ذلك وإن شق عليه».

ثم نقل عن أبي الربيع بن سالم أنه قال: «رام يوماً أن ينهض من مجلسه، فلم يستطع من الكبر، حتى اعتمد على مَنْ أعانه، فلما استوى قائماً أنشد متمثلاً:

أصبحت عند الحسان زيفاً وغير الحادثات نقشي

وكنت أمشي ولست أعيا فصرت أعيا ولست أمشي»[3]

---

(١) الديباج المذهب (١/ ١٦٧).

(٢) الديباج المذهب (١/ ٣٥٣).

(٣) الديباج المذهب (٢/ ٢٥٩-٢٦٠).

وقصدي من إيراد هذا الخبر تصوير ما صار إليه الشيخ من الضعف، وصبره على الجلوس للطلبة لإسماعهم وإفادتهم.

- الإمام الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت:٦٠٠هـ):

قال الحافظ الضياء المقدسي (ت:٦٤٣هـ): «لما وصل إلى مصر كنَّا بها، فكان إذا خرج للجمعة لا نقدر نمشي معه من كثرة الخلق، يتبركون به ويجتمعون حوله، وكنا أحداثاً نكتب الحديث حوله، فضحكنا من شيء وطال الضحك، فتبسم ولم يحرد علينا»[١].

- الإمام عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي صاحب المغني (٥٤١-٦٢٠هـ):

قال الضياء: «وكان يُشْغل إلى ارتفاع النهار، ومن بعد الظهر إلى المغرب، ولا يضجر، ويسمعون عليه، وكان يقرئ في النحو، وكان لا يكاد يراه أحد إلا أحبه، وما علمت أنه أوجع قلب طالب»[٢].

- العالم الكبير الجليل بهاء الدين القفطي: هبة الله بن عبد الله ابن سيد الكل نزيل أسنا (ت:٦٩٧هـ):

وصفه الأدفوي بقوله: «أحد الأكابر في العلم والعمل، والجليل القدر الذي يُرجى لدفع الجلل، والمعتكف على الاشتغال والإشغال بغير فتور ولا ملل، انفرد في ذلك الإقليم، وتلقى الناسُ قوله بالتسليم، وقابلوه

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٥٧).

(٢) طبقات علماء الحديث (٤/ ١٥٩).

بالتبجيل والتعظيم، وهو ندرة الفلك الدائر، ومرشد السالك الحائر، ورادع المبتدع الجائر».

وأطال في ترجمته الحافلة، ومن ذلك قوله:

«وآسى عليه بعض الطلبة مرة، بسبب أن الشيخ كان عدّل جماعة من الطلبة، فسأل ذلك [الطالب] أن يُلحق بهم، فتوقف الشيخ، فقال: سيدنا لِمَ لا عدلتني؟ ما بقي ممن لا عدّلتَه في المدرسة إلا ثور المدرسة. فعزَّ على الشيخ، ومع ذلك فلم يؤاخذه»(١).

- الإمام الحافظ أحمد ابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ):

قال السخاوي في ترجمته: «...ربما قُرِئ عليه بعد العِشاء وهو ناعس، فيرد [الخطأ] أيضاً، وإن لم يكن أهل الحديث يتركونه يتمادى في النعاس.

ومن أظرف ما رأيته في ذلك: أن بعض طلبته من أصحابنا رآه مطرق الرأس، فتوهم أنه ناعس، فأخذ يضرب الأرض بمفتاحه مرة بعد أخرى، وأكثرَ من ذلك، وصاحب الترجمة ينظره، وهو يبالغ في ذلك، ولا يرفع رأسه، إلى أن زاد، فعند ذلك قال له: يا أخي ما من ضربة إلا وأنا أراها بعيني - أو كما قال -. وهذا لسعة حلمه وعلمه بأحوال الطلبة»(٢).

وقال في موضع آخر: «ولطالما أوذي - رحمه الله - من أتباعه وبعض طلبته، فيحتسب ويصبر»(٣).

---

(١) الطالع السعيد (ص٦٩٢ و ٦٩٦).

(٢) الجواهر والدرر (١/ ٣٩٥-٣٩٦).

(٣) الجواهر والدرر (٣/ ٩٩٦).

وقال: «وأما صبره على الطلبة، فشيء لا يدرك وصفه، حتى إنه مكث في مرض موته مدةً وهو لا يعلم بعض من يقرأ عليه ليلاً بذلك، مراعاة لخاطره، وهو يتحمل المشقة إلى أن أعيى، فأعلمه بلطف»[١].

- الإمام العلامة الصالح محمد بن محمود الونكري التنبكتي المعروف بـ: بَغْيُعُ (٩٣٠-١٠٠٢هـ):

قال تلميذه العلامة أحمد بابا التنبكتي بعد وصفه بصفات جليلة: «...إلى صبر عظيم على التعليم آناء النهار، وعلى إيصال الفائدة للبليد بلا ملل ولا ضجر، حتى يمل حاضروه وهو لا يبالي، حتى سمعت بعض أصحابنا يقول: أظن هذا الفقيه شرب ماء زمزم لئلا يمل من الإقراء، تعجباً من صبره...»[٢].

- الإمام عبد الله بن سالم البصري المكي (ت:١١٣٤هـ):

قال الشيخ سالم بن أحمد الشماع في ترجمته: «كانت أخلاقه رضية، وشمائله مرضية، طالما اعتورت الطلبة في مجلسه كؤوس الصخب، ولم يظهر في ذلك منه عليهم عتب[٣]، بل يأخذهم بالملاطفة واللين، حتى يبين لهم ما أشكل عليهم أوضح تبيين، سيرته رحيمة، وسريرته سليمة»[٤].

---

(١) الجواهر والدرر (٣/ ١٠١٨).
(٢) كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج (ص٤٧٧).
(٣) في الأصل: تعب!.
(٤) ترجمة الشيخ عبد الله بن سالم البصري (ص٢٩٣).

- علامة الشام الشيخ بكري العطار (ت: ١٣٢٠هـ):

كان «سريع الغضب، سريع الرضا، فإذا أغضبه أحد التلامذة بأسئلة لا تلائم يغضب، لكنه سرعان ما يتراجع نادماً مطيباً خاطر التلميذ، وكان غضبه عذباً في النفوس لخفة روحه حتى إن بعض الطلاب كان يتعمد إثارة غضبه»[١].

- العالم الفرضي الشيخ كمال الدين الخطيب شهيد ميسلون (ت:١٣٣٨هـ):

جاء في ترجمته أنه كان «يتسامح مع الطلاب فيما يقومون به من تصرفات، ويخاطبهم على قدر عقولهم، لأنه كان يريد الأجر لا الأجرة»[٢].

- العالم المقرئ أحمد دهمان (ت:١٣٤٥هـ):

«لم يضرب طالباً رغم أن الشائع في المكاتب وقتذاك ضرب التلاميذ»[٣].

- العالم الفاضل الأديب محمد الداودي (ت:١٣٤٥هـ):

قال عنه تلميذه الأستاذ ظافر القاسمي: «كان أرق مشايخنا حاشية، وأرحمهم بالطلاب فما عرفت أنه عاقب أحداً منهم»[٤].

---

(١) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (١/ ١٩٩).
(٢) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (١/ ٣٨١).
(٣) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (١/ ٤٠٨).
(٤) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (١/ ٤١٧).

- الإمام بدر الدين الحسني (ت: ١٣٥٤هـ):

«لم يعنف تلميذاً ولم يهنه ولو أبطأ في الفهم أو أخطأ، وإنما ينهى بلطف، وإذا انقطع أحد عن الدوام ذكره بقيمة الوقت، وأهمية الدرس، وحذره من التفريط»[١].

- ومن لم يكن كذلك من الصبر عليهم وتحملهم عيب عليه، وهذا ما قيل في أبي القاسم عبد الواحد بن علي الأسدي العكبري النحوي (ت:٤٥٦هـ) فقد جاء في ترجمته:

«كانت في أخلاقه شراسة على مَنْ يقرأ عليه» ولكن ليس مع الجميع، فقد جاء في ترجمته أيضاً، ولعله يفسر ما مضى: «كان يتكبر على أولاد الأغنياء، وإذا رأى الطالب غريباً أقبل عليه»[٢].

وقال محمد بن هلال: «لولا شراسة خلق كانت فيه، على مَنْ يقرأ عليه ويستمليه، لكانت له آثار باقية وكتب مروية، لما كان فيه من الفضائل القوية»[٣]. وفي ذلك عبرة واتعاظ[٤].

* * *

(١) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (١/ ٤٨٩).

(٢) بغية الوعاة (٢/ ١٢٠).

(٣) إنباه الرواة (٢/ ٢١٥).

(٤) وكان للعلماء في الصبر على قراءة الطلاب عليهم أخبار مدهشة، تكشف تمام الكشف عن تفانيهم في خدمة العلم والدين، انظر إن شئت نماذج من ذلك في افتتاحية مجلة الأحمدية: «مع خير جليس» العدد (١١)، جمادى الأولى (١٤٢٣هـ)، وهي مسوقة أصلاً لبيان إدمان القراءة والصبر عليها، ولكنها تكشف عن صبر المقروء عليهم كذلك.

عدم أخذ شيء منهم أو استخدامهم

ومن العناية بهم عدم أخذ شيء منهم[1]، وتجنب استخدامهم وتكليفهم بعمل شخصي:

- قال جرير بن عبد الحميد: مرَّ بنا حمزة الزيات [ت:١٥٦هـ] فاستسقى ماء، فلما أردت أن أناوله قال: أنت هو؟ قلت: نعم. قال: أليس تحضرنا في القراءة؟ قلت: نعم. قال: ردّه. وأبى أن يشرب[2].

- وجاء عن الإمام الأوزاعي (ت:١٥٧هـ): فيما يرويه سعيد ابن سالم صاحبه قال: قدم أبو مرحوم من مكة على الأوزاعي، فأهدى إليه طرائف، فقال له: إن شئتَ قبلتُ منك، ولم تسمع مني حرفاً، وإن شئتَ، فضم هديتك، واسمعْ»[3].

- وقال الحسن بن ربيع: كنت عند عبد الله بن إدريس [ت:١٩٢هـ]، فلما قمتُ قال: سل عن سعر الأشنان. فلما مشيت ردّني وقال: لا تسأل عنه فإنك تكتب عني الحديث، وأنا أكره أن أسأل من يسمع مني الحديث حاجة[4].

---

(١) نعم كان هناك مَنْ يقبل، ومن يشترط، ولكن هذا قليل، وله ظروف خاصة، وعلينا بالأكثر. ويحتاج هذا الموضوع إلى بحث وتتبع.
وانظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٥١١)، وتاريخ الإسلام (٤٢/ ٤٥٩).

(٢) الحدائق (١/ ٥٢٧) تحت عنوان «باب أخلاق العلماء: ذكر ورع العلماء». وانظر: معجم الأدباء (٦/ ٢٨٥٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٣٢).

(٤) الحدائق (١/ ٥٢٧).

- وجاء في ترجمة الإمام الطبري (ت:٣١٠هـ):

أنه «كان يختلف إليه أبو الفرج ابن أبي العباس الأصبهاني الكاتب يقرأ عليه كتبه، فالتمس أبو جعفر حصيراً لصفَّة له صغيرة، فدخل أبو الفرج الأصفهاني وأخذ مقدار الصّفة، واستعمل له الحصير متقرباً بذلك له وجاءه به، وقد وقع موقعه، فلما خرج دعا ابنه ودفع إليه أربعة دنانير، فأبى أن يأخذها، وأبى أبو جعفر أن يأخذ الحصير إلا بها»[١].

- وقال السبكي في ترجمة الإمام الحافظ أبي بكر محمدبن عبد الله الجوزقي النيسابوري الشيباني (ت:٣٨٨هـ): «كان أبو بكر أحد أئمة المسلمين، علماً وديناً، وكان محدث نيسابور.. وحكي عنه أنه قال: أنفقت في الحديث مئة ألف درهم، ما كسبت به درهماً»[٢].

- وقال ابن العطار عن شيخه الإمام النووي (ت:٦٧٦هـ):

«وكان لا يأخذ من أحدٍ شيئاً، ولا يقبل إلا ممن تحقق دينه ومعرفته، ولا له به عُلْقةٌ من إقراء أو انتفاع به، قاصداً الخروج من حديث القوس[٣]،

(١) معجم الأدباء (٦/ ٢٤٦٥). وقد ذكر (الأصبهاني) بالباء ثم بالفاء.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٨٤-١٨٥).

(٣) قال السخاوي في المنهل العذب الروي (ص١١٨-١٢٠): «حديث القوس المشار إليه روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم:

١- منهم أبي بن كعب، فأخرجه البيهقي في سننه (٦/ ١٢٦) من طريق عطية بن قيس الكلابي قال: علّم أبي بن كعب رضي الله عنه رجلاً القرآن، فأتى اليمنَ فأهدى له قوساً، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: إن أخذتها فخذ بها قوساً من النار، وقال: إنه منقطع. .... =

والجزاء في الدار الآخرة، وربما أنه كان يرى نشر العلم متعيناً عليه، مع قناعة نفسه وصبرها، والأمور المتعينة لا يجوز أخذ الجزاء عليها في الدار الدنيا، بل جزاؤه في الدار الآخرة شرعاً، كالقرض الجارِّ إلى منفعة، فإنها حرام باتفاق العلماء»[1].

- وقال الذهبي في ترجمة الإمام عبد الصمد ابن أبي الجيش البغدادي (ت:٦٧٦هـ):

= قلت: وأورده الجوزقاني [في الأباطيل والمناكير ٢/ ١٢٨] من طريق عبد الرحمن بن أبي مسلم عن عطية وقال: عبد الرحمن ضعيف.

٢- ومنهم عبادة بن الصامت، فأخرجه أبو داود، ومن طريقه البيهقي في سننيهما (سنن أبي داود ٤/ ١٥١، والبيهقي ٦/ ١٢٥) من طريق عبادة بن نسي قال مرةً: عن الأسود بن ثعلبة، ومرةً: عن جنادة بن أبي أمية كلاهما عن عبادة قال: علّمت ناساً من أهل الصفة الكتاب والقرآن فأهدى إليّ رجل منهم قوساً فقلت: ليست بمال وأرمي عليها في سبيل الله لآتين رسول الله ﷺ فلأسألنه، فأتيته فقلت: يا رسول الله أهدى رجل إليّ قوساً ممن كنت أعلمه الكتاب والقرآن وليست بمال، وأرمي عليها في سبيل الله؟ قال: إن كنت تحب أن تطوق من نار فاقبلها. لفظ الأسود، ولفظ جنادة: فقلت: ما ترى فيها يا رسول الله؟ فقال: جمرة بين كتفيك تقلدتها، أو تعلقتها.

٣- ومنهم أبو الدرداء، فأخرجه البيهقي (٦/ ١٢٦) من طريق إسماعيل بن عبيد الله عن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً: مَنْ أخذ قوساً على تعليم القرآن قلده الله قوساً من نار.

ونقل عن بعض الأئمة أنه ليس له أصل»!.

قلت: وهذا القائل هو الحافظ دحيم كما في سنن البيهقي (٦/ ١٢٦)، وقد رده ابن التركماني في الجوهر النقي بقوله: «قلت: أخرجه البيهقي هنا بسند جيد، فلا أدري ما وجه ضعفه، وكونه لا أصل له». وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٤٥٧-٤٦١) برقم (٢٥٦)، وإرواء الغليل (٥/ ٣١٦-٣١٧) برقم (١٤٩٣).

(١) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين (ص٩٧).

«سمعت أبا بكر المقصَّاتي يقول: طلب مني شيخنا مقصاً، فعملته وأتيته به، فما أخذه حتى أعطاني فوق قيمته»[1].

- وقال الحافظ ابن حجر في ترجمة الشيخ محمد بن أحمد السويدي الأصل القيسي الدمشقي (ت:٧٩٧هـ)، بعد أن وصفه بالدين والتعبد:

«مع الإحسان إلى الطلبة، والبر للفقراء، والصلة لأقاربه، والتقلل في خاصة نفسه، والانجماع عن الناس، وجرى على طريقة السلف في شراء الحوائج بنفسه وحملها»[2].

- وقال الشعراني في ترجمة العلامة سعد الدين محمد بن علي الذهبي المصري الشافعي (ت:٩٣٩هـ):

«كان يحمل حوائجه بنفسه، ويتلو القرآن في ذهابه وإيابه»[3].

- وقال نجم الدين الغزي في ترجمة والده بدر الدين الغزي (ت: ٩٨٤هـ): «وكان الشيخ لا يأخذ على الفتوى شيئاً، بل سدَّ باب الهدية مطلقاً، خشية أن يهدي إليه من يطلب منه إفادة، أو فتوى، أو شفاعة، فلم يقبل هدية إلا من أخصائه، وأقربائه، وكان يكافئ على الهدية أضعافاً»[4].

* * *

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (٤/ ١٣٨)، طبعة العثيمين.
(٢) إنباء الغمر (٣/ ٢٧٠-٢٧١).
(٣) شذرات الذهب (١٠/ ٣٣٠).
(٤) الكواكب السائرة (٣/ ٥).

مساعدتهم بالمال والجاه وإكرامهم

ومن العناية بهم مساعدتهم والإحسان إليهم بالمال والجاه والنفس:

والأخبار في ذلك كثيرة، فلنذكر ما جاء عن هؤلاء الأعلام:

- الإمام أبو حنيفة (ت:١٥٠هـ):

روى الخطيب البغدادي عن علي بن حرملة عن القاضي أبي يوسف تلميذ أبي حنيفة (١١٣-١٨٢هـ) قال:

«كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث الحال، فجاء أبي يوماً وأنا عند أبي حنيفة، فانصرفت معه، فقال: يا بني لا تمدن رجلك مع أبي حنيفة، فإن أبا حنيفة خبزه مشوي، وأنت تحتاج إلى المعاش، فقصرت عن كثير من الطلب، وآثرت طاعة أبي، فتفقدني أبو حنيفة وسأل عني، فجعلت أتعاهد مجلسه، فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري عنه قال لي: ما شغلك عنا؟ قلت: الشغل بالمعاش وطاعة والدي، فجلستُ فلما انصرف الناس دفع إليّ صرة وقال: استمتع بهذه، فنظرت فإذا فيها مئة درهم، فقال لي: الزم الحلقة وإذا نفدت هذه فأعلمني، فلزمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع إليّ مئة أخرى، ثم كان يتعاهدني وما أعلمته بخلة قط ولا أخبرته بنفاد شيء، وكان كأنه يخبر بنفادها حتى استغنيتُ وتمولتُ»[1].

---

(١) تاريخ بغداد (١٤/ ٢٤٤). وهناك رواية ثانية في نشأة الإمام أبي يوسف انظرها في التاريخ المذكور.

- الإمام محمد بن الحسن الشيباني (ت:١٨٩هـ):

قـال الشـيخ الكوثـري في كتابه بلـوغ الأماني في سـيرة الإمـام محمد بن الحسن الشيباني:

«كان أسـد بـن الفـرات[1] خـرج مـن القـيروان إلى الشرق سـنة اثنتين وسـبعين ومئـة (١٧٢هـ) فسـمع الموطـأ على مالـك بالمدينة». ثـم رحل إلى العراق «فسـمع من أصحاب أبي حنيفة وتفقـه عليهم... وكان أكثر اختلافه إلى محمد بن الحسن الشيباني، ولما حضر عنده قال له: إني غريب قليل النفقه، والسماع منك نزر، والطلبة عندك كثير، فما حيلتي؟

فقال له محمد: اسمع مع العراقيين بالنهار، وقد جعلت لك الليل وحدك، فتبيت عندي وأسـمعك، قال أسد: وكنت أبيت عنده وينزل إليّ، ويجعل بين يديـه قدحاً فيه المـاء، ثم يأخذ في القراءة، فإذا طال الليل ورآني نعسـت، ملأ يـده ونضح بـه على وجهي فأنتبه، فـكان ذلك دأبه ودأبي حتـى أتيت على ما أريد من السماع عليه.

وكان محمد بن الحسن يتعهده بالنفقة حين علم أن نفقته نفدت، وكان في إحدى المرات أعطاه ثمانين ديناراً حين رآه يشرب من ماء السـبيل، وسعى في

---

(١) قاضي القيروان، وأحد القادة الفاتحين، فتح صِقِلِّية، واستشهد بها سنة (٢١٣هـ). الأعلام (١/ ٢٩٨).

نفقته عندما أراد أسـد الانصراف من العراق في حكاية طريفة يطول ذكرها، وهي مسرودة في الجزء الثاني من معالم الإيمان في تاريخ القيروان»[1].

- العالم النحوي علي بن المبارك الأحمر النحوي (ت:١٩٤هـ):

رشـحه شـيخه علي بن حمزة الكسـائي لتعليم أولاد الرشـيد فازداد علماً ودُنيا، في خبر جاء في ترجمته:

قال القفطي: «ولما تمكن في الرياسـة صـارت له الهيئة الجميلة، والتجمل التـام، والجماعة المتوقـرة، والطعام السري. وإذا حضر الطلبـة إلى منزله رأوا منزلاً كمنازل الملوك ينفح منه الطيب، ويوسع لهم في المأكل والورق والأقلام والمداد، ويريهم بشراً وسروراً، فلا ينفصل أحد عنه إلا شاكراً»[2].

- العـالم اللغـوي الراويـة عبـد الله بـن محمـد بـن هانـئ النيسـابوري (ت:٢٣٦هـ) (كان في طبقة أبي عبيد ت:٢٢٤هـ وأبي حاتم السجستاني ت: ٢٤٨هـ):

قـال القفطـي: «كان جماعة للكتب، كثير الحفظ لهـا، إلى أن صارت جملة عظيمـة، وأبيعـت بأربع مئة ألـف درهم، وكان قـد أعدَّ في حياتـه داراً لكل

---

(١) بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني (ص١٤-١٥). وانظر: معالم الإيمان (٢/ ٨-١١).

(٢) إنباه الرواة (٢/ ٣١٦-٣١٧).

من يقدم من المستفيدين، فيأمر بإنزاله فيها، ويزيح علته في النسخ والورق، ويوسّع النفقة عليه»[1].

- العالم النحوي اللغوي علي بن محمد بن الزبير المعروف بابن الكوفي (ت:٣٤٨هـ):

قال القفطي في ترجمته: «عالم، صحيح الخط، راوية، جماعة للكتب، صادق الرواية، منقِّر بحاث، من أصحاب أبي العباس ثعلب المختصِّين به.

وكان أبوه من أهل ذوي اليسار من أهل الكوفة، واشتغل ولده هذا بطلب العلم من يومه. ولما مات أبوه خلَّف له - فيما يقال - زائداً عن خمسين ألف دينار، فصرفها كلها في طلب العلم، وتحصيل الكتب اشتراءً واستنساخاً وكتابةً، وصرف من ذلك جزءاً صالحاً لفقراء طلبة العلم، وكان منزله مغشياً منهم، ونفقاته عليهم واسعة»[2].

- العالم الوزير الصاحب إسماعيل بن عباد (ت:٣٨٥هـ):

قال ابن الجوزي: «كان موصوفاً بالعلم والفصاحة، وكان ينفذ إلى بغداد كل سنة خمسة آلاف دينار، تفرق على طلبة العلم، وكان من أبغض الناس إليه من يقول بالفلسفة والمنطق»[3].

---

(١) إنباه الرواة (٢/ ١٢٧).

(٢) إنباه الرواة (٢/ ٣٠٥-٣٠٦).

(٣) الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء (ص٨٣)، وقد ذكرته لصفته العلمية.

- الإمـام محمد أبو بكر الأبهري المالكـي البغدادي إمام أصحابه في وقته (ت:٣٩٥هـ):

قـال أبـو القاسـم الوهـراني - وقد أمـلى في أخبـاره جـزءاً -: «ما رأيت من الشـيوخ أسـخى منه، ولا أكثر مواسـاة لطالب العلم، ومَنْ يرد عليه من الغرباء، يعطيهم الدرهم ويكسوهم.

وكان لا يخـلي جيبه مـن كيسٍ فيه مال، فكل مَنْ يـرد عليه من الفقهاء[1] يغرف له غرفة بلا وزن.

وقد سـألته عن سـبب عيشـه فقال لي: كان رؤسـاء بغداد لا يموت أحد منهم إلا أوصى لي بجزء من ماله».

وقـد وجـد بخطـه: «الدين عـز، والعلـم كنـز، والحلم حـرز، والتوكل قوة»[2]. وهو يمثِّل حاله وسلوكه.

- الخطيب البغدادي (ت:٤٦٣هـ):

قـال ابـن الجوزي في ترجمتـه: «وكان للخطيب شيء مـن المال فكتب إلى القائم بأمر الله: إني إذا متُّ كان مالي لبيت المال وإني أستأذن أن أفرِّقه على مَنْ شـئتُ، فأذن له ففرَّقه على أصحاب الحديـث وكان مئتي دينار، ووقف كتبه

(١) أي طلاب علم الفقه.

(٢) انظر: الديباج المذهب (٢/ ٢٠٨-٢٠٩).

على المسلمين، وسلمها إلى أبي الفضل [ابن خيرون] فكان يعزها، ثم صارتْ إلى ابنه الفضل فاحترقت في داره.

ووصى الخطيب أن يُتصدَّقَ بجميع ما عليه من الثياب»[١].

وقال الذهبي: «قال ابن ناصر: حدثتني أمي أن أبي حدَّثها قال: دخلت على الخطيب في مرضه فقلت له: يا سيدي إن ابن خيرون لم يعطني من الذهب شيئاً الذي أمرته أن يفرقه على أصحاب الحديث، فرفع الخطيب رأسه من المخدة وقال: خذ هذه بارك الله لك فيها، فكان فيها أربعون ديناراً، فأنفقتها مدة في طلب العلم»[٢].

وكان كذلك في حياته، يبر طلاب العلم ويساعدهم:

قال الذهبي: «قال أبو زكريا التبريزي: كنت أقرأ على الخطيب بحلقته بجامع دمشق كتب الأدب المسموعة له، وكنت أسكن منارة الجامع فصعِدَ إليَّ وقال: أحببت أن أزورك، فتحدثنا ساعة، ثم أخرج ورقة وقال: الهدية مستحبة اشتر بهذه أقلاماً، وقام، فإذا خمسة دنانير، ثم صعد نوبة أخرى ووضع نحواً من ذلك»[٣].

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٨/ ٢٦٩).
(٢) تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٤٤) والجملة الأخيرة من كتاب «الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها» ليوسف العش (ص٤٩).
(٣) تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٣٨).

- الإمام المربِّي الناصح الشيخ عبد القادر الجيلي (ت: ٥٦١هـ):

قال ابن رجب نقلاً عن الشيخ موفق الدين بن قدامة: «دخلنا بغداد سنة إحدى وستين وخمس مئة، فإذا الشيخ عبد القادر ممن انتهت إليه الرئاسة بها علماً وعملاً وحالاً واستفتاءً، وكان يكفي طالبَ العلم عن قصد غيره، من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم، والصبرِ على المشتغلين، وسعة الصدر، وكان ملء العين، وجمع الله فيه أوصافاً جميلة وأحوالاً عزيزة، وما رأيت بعده مثله»[١].

وقال في ترجمة الحافظ عبد الغني المقدسي: «ثم رحل إلى بغداد سنة إحدى وستين، هو والشيخ الموفق، فأقاما ببغداد أربع سنين وكان الموفق ميله إلى الفقه، والحافظ عبد الغني ميله إلى الحديث، فنزلا على الشيخ عبد القادر وكان يراعيهما ويحسن إليهما، وقرآ عليه شيئاً من الحديث والفقه.

وحكى الشيخ الموفق أنهما أقاما عنده نحواً من أربعين يوماً، ثم مات، وأنهما كانا يقرآن عليه كل يوم درسين من الفقه، فيقرأ هو من «الخرقي» من حفظه، والحافظ من كتاب الهداية»[٢].

- الإمام الكبير ابن دقيق العيد (ت: ٧٠١هـ):

قال الصفدي: «كان شفوقاً على المشتغلين، كثير البر لهم»[٣].

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (١/ ٢٩٣).

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٥).

(٣) الوافي بالوفيات (٤/ ١٩٤).

- الشيخ ضياء الدين القِرمي العفيفي (ت:٧٠٨هـ):

قال السيوطي في ترجمته: «هو العلامة المتفنن، أحد العلماء الأكابر.

كان إماماً عالماً بالتفسير والعربية، والمعاني والبيان، والفقه والأصلين، ملازماً للاشتغال والإفادة، حتى في حال مشيه وركوبه، يتوقد ذكاء».

ثم قال: كان «يحسن إلى الطلبة بجاهه وماله، مع الدين المتين، والتواضع الزائد، والعظمة، وكثرة الخير، وعدم الشر»[١].

- الشيخ هبة الله بن علي الأسنائي (ت:٧٠٩هـ):

قال الأدفوي في ترجمته: «بنى مدرسة بأسنا، ووقف عليها بساتينه... وكان يدرِّس بها، ويعمل للطلبة في كثير من الأوقات طعاماً طيباً عاماً، فإذا اتفق غيبة بعضهم يقول: يا فلان فاتتك اليوم الفوائد والموائد، وينشده:

ارض لمن غاب عنك غيبته ... فذاك ذنبٌ عقابه فيه»[٢]

- العلامة قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي (٦٣٤-٧١٠هـ):

قال الشوكاني في ترجمته: «كثير الدخل، حتى قيل إنّ[٣] دخله في العام ثلاثون ألفاً لا يدَّخر منها شيئاً، بل ينفقه على تلامذته»[٤].

---

(١) بغية الوعاة (٢/ ١٣) وانظر الدرر الكامنة (٢/ ٣٦٨).

(٢) الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد (ص٧٠٠). وانظر عن قائل البيت: وفيات الأعيان (٦/ ٧٠).

(٣) في الأصل: إنه! وانظر الدرر الكامنة، الترجمة (٢٢٧١).

(٤) البدر الطالع (ص٨١٧).

- الإمـام الشـيخ أحمد بن محمد بن علي، نجـم الدين ابن الرفعة (٦٤٥- ٧١٠هـ):

قـال الكـمال جعفـر الأدفـوي: «كان... كثير الإحسـان إلى الطلبة بماله وجاهه، مساعداً لهم بما تصل إليه قدرته.

حكـى لي القاضي أبو طاهر السـفطي قال: كانـت لي حاجة عند القاضي لتوليـة العقود فتوجـه معي إلى القاهرة، فحضرنـا درس القاضي، فبحث فيه معـي، فجعل يقول: يا سـيدنا زيـن الدين ترفق بي[1]، ثم عـرّف القاضي بي، فقضى حاجتي.

ولمـا تـولى ابن دقيق العيـد، توجه معي إليـه، ولم تكن لـه بي معرفة فقال له: ما يذكر سـيدنا لمـا درس العبد بالمعزية وشرفتم بالحضور، وأورد سـيدنا البحث الفلاني، وأجاب فقيه بالمجلس بكذا، فاستحسـن سيدنا جوابه؟ هذا هو. ففوض إليه أن يوليني، فولاني عنه.

وحكاياته في ذلك كثيرة»[2].

- أحمـد بـن علي بن أحمد الهمـداني ثم الكوفي الحنفي فخر الدين الشـهير بابن الفصيح (٦٨٠-٧٥٥):

---

(١) لعل الصواب: به.

(٢) الدرر الكامنة (١/ ٣٠٤).

قال الكمال جعفر الأدفوي: «كان كثير الإحسان إلى الطلبة بنفسه وماله»[1].

- الشيخ الزاهد العابد عبد الله بن أسعد اليافعي الشافعي اليمني ثم المكي (ت:٧٦٨هـ):

قال ابن حجر: «أثنى عليه الإسنوي في «الطبقات» وقال: «كان كثير التصانيف... وكان كثير الإيثار للفقراء... كثير الإحسان للطلبة إلى أن مات»[2].

- الإمام جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي الشافعي (٧٠٤-٧٧٢هـ):

جاء في ترجمته: «وكان... لين الجانب كثير الإحسان إلى الطلبة»[3].

- صدر الدين أبو الربيع سليمان بن يوسف بن مفلح الياسوفي (٧٣٩-٧٨٩هـ):

قال ابن حجر: «كان ديناً كثير العلم والعمل والإحسان إلى الطلبة والواردين»[4].

---

(١) الدرر الكامنة (١/ ٢١٨)

(٢) الدرر الكامنة (٢/ ٣٥٣-٣٥٤).

(٣) شذرات الذهب (٨/ ٣٨٣).

(٤) الدرر الكامنة (٢/ ١٦٦).

- أحمد بن محمد الأسدي الشافعي المعروف بابن قاضي شهبة (٧٣٧-٧٩٠هـ) والد صاحب «طبقات الشافعية»:

قال ولده: «كان كريم النفس جداً، كثير الإحسان إلى الطلبة والفقهاء والغرباء... ولم يكن ببلده في طائفته أكرم منه ومن الشيخ نجم الدين بن الجابي»[١].

- الشيخ محمد بن أحمد القيسي الدمشقي (ت:٧٩٧هـ):

قال ابن حجر في ترجمته: «كان ديناً خيّراً عابداً، كثير الإحسان إلى الطلبة، والمواساة للفقراء، والبر والصلة لأقاربه، مع نزاهة النفس والتواضع والانجماع»[٢].

- الشيخ العابد الفقيه شهاب الدين إبراهيم بن موسى الأبناسي (ت:٨٠٢هـ):

قال تلميذه ابن حجر في ترجمته: «بنى زاوية بالـمَقَس ظاهر القاهرة، وأقام بها يحسن إلى الطلبة، ويحملهم على التفقه، ويرتب لهم ما يأكلون، ويسعى لهم في الرزق وخصوصاً الواردين من الضواحي، فصار أكثر الطلبة بالقاهرة من تلامذته، وتخرج منهم خلق كثير، وكان حسن التعليم، ليّن الجانب...»[٣].

---

(١) طبقات الشافعية (٣/ ١٤٨) ونقل في شذرات الذهب (٨/ ٥٣٦).

(٢) الدرر الكامنة (٣/ ٤٣٧).

(٣) ذيل الدرر الكامنة (ص٨٥).

- الإمام العلامة محمد بن عرفة الورغمي التونسي (٧١٦-٨٠٣هـ):

ترجم له ابن فرحون وحلاه بقوله: «المقرئ الفروعي الأصولي البياني المنطقي شيخ الشيوخ، وبقية أهل الرسوخ» ثم قال: «أجمع على اعتقاده ومحبته الخاصة والعامة. ذا[١] دين متين، وعقل رصين، وحسن إخاء، وبشاشة وجه للطلاب، صائم الدهر، لا يفتر عن ذكر الله وتلاوة القرآن، إلا في أوقات الاشتغال، منقبضاً عن مداخلة السلاطين، لا يرى إلا في الجامع أو في حلقة التدريس، لا يغشى سوقاً ولا مجتمعاً ولا مجلس حاكم إلا أن يستدعيه السلطان في الأمور الدينية، كهفاً للواردين عليه من أقطار البلاد، يبالغ في برهم والإحسان إليهم، وقضاء حوائجهم...»[٢].

وابن فرحون يتكلم عن معرفة شخصية، إذ نزل الشيخ ابن عرفة لما زار المدينة عنده في البيت[٣].

- العلامة القاضي صدر الدين المناوي (ت:٨٠٣هـ):

كان له في إكرام الطلبة سيرة مذكورة، حتى إنه أراد شراء جارية وصفت بإتقان الطبخ لذلك، ووقع في هذا خبر طريف فيه دلالة على ما يفعله الحسد والغيرة.

---

(١) أي كان.
(٢) الديباج المذهب (٢/ ٣٣١-٣٣٢).
(٣) انظر الديباج المذهب (٢/ ٣٣٣).

قال تلميذه الحافظ ابن حجر: «كان شيخنا القاضي صدر الدين المناوي كثيراً ما يجمع الطلبة ونحوهم على الطعام الفاخر. فاتفق أنه أحضرت له جارية ليختبرها فيما وصفت عنده به من إتقان الطبخ حتى يشتريها، فأمرها بطبخ ألوان عُينتْ لها بعد أن أحضر لها جميع احتياجاتها على الهيئة المرضية، بحيث لا يختل بشيء. ولما انتهت من تهيئتها، ورأت الجارية التي كانت قبلها من ذلك ما حسدتها من أجله، أخذت صبراً[1]، ودارت على القدور فأشعلتها عن آخرها، والطّباخة غافلة عن صنيعها، ووصل علمُ ذلك للقاضي، فتغير لطول مكث الجماعة بين يديه لانتظار الاستواء، فدبَّر نقيبه الأمر بمدِّ السِّماط، وحين ينتهي وَضْعُ تلك الأطعمة يخيِّر الجماعة بين التقدم للأكل، أو النظر لأمر غريب، وهو إحضار شخص واحدٍ يأكل الجميع، ففعل ذلك، فاختاروا التفرج، وقدَّموه على الأكل، ففي الحال أُحضر شخص يسمَّى «سرحان»، فجلس في ذيل السماط، وشرع في الأكل حتى أتى على آخره، وما تَمَّ ذلك حتى أمر القاضي بإحضار شواء من السوق يكفي الجماعة، فأكلوه، وتعجب كلٌ منهم لصنيع «سرحان»[2].

- الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ):

قال أبو ذر بن برهان الدين الحلبي في ترجمته: «وأما لطائفه وملاطفته

---

(١) الصبر: عصارة شجر مرٍّ. لسان العرب (٤/ ٤٤٢) فهل هو المقصود؟

(٢) الجواهر والدرر (٣/ ١٠٤٢) وسرحان هذا ترجم له ابن حجر في إنباء الغمر (٣/ ٣٩) وقال إنه كان ... أكولاً مشهوراً بذلك!.

للطلبة والإحسان إليهم، فلا تكاد توصف، وقد كنت أسمع به وبأوصافه، فلما شاهدته رأيته فوق ذلك»[1].

وقال السخاوي: «وأما شفقته على خلق الله تعالى لا سيما طلبة العلم منهم فأمر يطول شرحه».

وقد ذكر من ذلك عدة حكايات، ثم قال: «وأخص منه إحسانه للغرباء من الطلبة الوافدين إليه، وقد كانوا عنده على مراتب:

منهم من يتفقده كل قليل.

ومنهم من يقرر له شيئاً ينفقه كل يوم.

ومنهم من يتفقده عند قدومه وعند سفره.

ومنهم من يعلم عدم حاجته لكنه يحب إكرامه، فيهدي إليه إما شيئاً من تصانيفه، أو ثياباً من ملبوسه، وهذا يكون عند المهدى إليه أعظمَ من مفروح به. إلى غير ذلك من الأقسام.

وكان من الغرباء الواصل إليهم برُّه ناصر بن أحمد بن يوسف بن منصور البسكري، فإنه ممن لازم صاحب الترجمة مدة طويلة، بل قال شيخنا في «معجمه»: استفدت منه.

---

(١) من كراسة ترجم فيها شيخه ابن حجر، نقل منها السخاوي في الجواهر والدرر (١/ ٣٢٢) و(٣/ ١٠٢٩).

ولهـذا قال المشـار إليه ما نصه: واتصلت بخدمة سـيدنا ومولانا – يعني صاحـب الترجمـة – ابن حجـر –، فآنـس الغربة، وأنسـى الكربة، وأحسـن المعونة، وكفى المؤونة، وعمَّني خيره وبرُّه، ووسعني حلمه وصبره»[1].

وقـد اسـتمر بر الحافـظ بطلابه حتى بعـد موته إذ أوصى لهـم بمبلغ من تركتـه، جـاء في وصيته التي نقل السـخاوي نصها: «وقـد أوصيت لكلٍّ من طلبة الحديث النبوي المتحققين بطلبه والاشتغال به أكثر من الاشتغال بغيره من سائر العلوم الدينية ممن شَهِدَ لهم بذلك جماعة أهل العلم بالحديث، وهم: القاضي نور الدين ابن سالم، وبرهان الدين البقاعي، وتقي الدين القلقشندي، ونجم الدين عمر بن فهد المكي، وقطب الدين الخيضري، وشمس الدين بن قمر إمام المدرسـة الركنية بيبرس، ومحمد بن عبد الرحمن السـخاوي، وفخر الديـن عثمان الدِّيمي، وزين الدين قاسـم بن قطلوبغـا الحنفي، بمئتي دينار، تقسم بينهم بالسوية، ولكل مَنْ كان يواظب مجلس الإملاء بالسوية بينهم مئة دينـار، ولكل من يتعاهد ذلك أحياناً وأحياناً منهم مئة دينار بينهم بالسـوية، يقدَّم الأحوج فالأحوج»[2].

– العـالم الجليـل النبيـل الرئيس محمد بـن محمد الأنصـاري الحموي ثم القاهري الشافعي المعروف بابن البارزي (٧٩٦–٨٥٦هـ):

(١) الجواهر والدرر(٣/ ١٠١١–١٠١٣) والمجمع المؤسس(٣/ ٣٥٧).
(٢) الجواهر والدرر (٣/ ١٢٠٤–١٢٠٥).

وصفه السخاوي بأوصاف رائعة وقال: «كل ذلك مع الشهامة والكرم والإحسان إلى الطلبة ومحبتهم، وضمهم إليه، بحيث يجري على كثيرٍ منهم المرتبات الشهرية والسنوية، ولما ارتفع سعر الغلال في بعض السنين حسَّن له بعض جماعته أن يصرف للمرتب لهم في البر دراهم، فقبحه وقال: نعطيهم البر في حال كونه تراباً، ثم نعطيهم التراب في حال كونه ذهباً، أو نحو هذا»[1].

- الإمام العارف المحقق قاضي القضاة شرف الدين أبو زكريا يحيى بن محمد المناوي القاهري الشافعي (٧٩٨-٨٧١هـ):

قال السخاوي: «كان من محاسن الدهر ديناً وصلاحاً وتعبداً واقتفاءً للسُنة، وتواضعاً، وكرماً وبذلاً وتودداً، وحالاً وقالاً، مع الشهامة، والتوجه للفقراء، والرغبة في البذل لهم وللطلبة فوق طاقته، بحيث يستدين لذلك، ويتصدق بعمامته التي يكون جالساً بها، وبثوبه، ونحو ذلك، مما شاهدت الكثير منه»[2].

وقال العلامة عبد الرؤوف المناوي في ترجمته: «كان... ذا تصانيف مفيدة، وتعليقات بحورها مديدة، ومكارم نبلها زائد، وصِلاتٍ نفعها على الطلاب عائد».

---

(١) الضوء اللامع (٩/ ٢٣٨).
(٢) الضوء اللامع (١٠/ ٢٥٦).

وقال: «وكان لجماعة من الفقراء سيما طلاب العلم وذوي الهيئات والبيوت كل سنةٍ وشهرٍ وأسبوعٍ عليه رواتب من قمحٍ وعسلٍ، ولآخرين قمصان، ولآخرين رواتب يومية من طعامٍ وخبزٍ وإدام، ولم يكن يأكل وحده»[1].

- الشيخ الإمام العلامة الصالح القاضي الفقيه عبد الله بن محمد الشافعي (ت:٩٠٧هـ):

قال العيدروس في ترجمته: «تصدر في الشِّحر للفتوى والتدريس، وتخرج به الطلبة وانتفعوا به كثيراً، وكان سيداً شريف النفس كريماً سخياً مفضالاً، وصولاً للطلبة، كثير الإحسان إليهم، وكان يجتهد في جمعهم وترغيبهم للطلب، ويسعى لهم في الرزق باذلاً لهم نفسه، حسن التعليم، لين الجانب، في غاية التواضع»[2].

- العلامة أبو البركات بدر الدين محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي (٩٠٤-٩٨٤هـ):

قال ابنه: «كان يعطي الطلبة كثيراً، ويكسوهم، ويجري على بعضهم»[3].

---

(١) الكواكب الدرية (٣/ ٢٧٨) و(٣/ ٢٨٨).
(٢) النور السافر (ص٧٧).
(٣) الكواكب السائرة (٣/ ٥) وانظر: الأعلام (٧/ ٥٩).

- الإمـام المحـدِّث العارف الطائـر الصيت أبو عبـد الله الدلائي المغربي (٩٦٧-١٠٤٦هـ):

قـال عنه المطلع الأخباري أبو محمد عبد السـلام بـن الخياط القادري في هامش نسـخته مـن (نشر المثـاني): «إنه كان يكـرم طلبة العلـم، ويواصلهم بالعطـاء الجزيـل إعانة لهم على طلب العلم، وكان مُرَتَّباً عنده بباب داره من طلبة العلم أزيد من ثلاثة عشر مئة»[1].

- العلامة النحوي الشـيخ ياسـين بن زين الدين الحمصي العليمي نزيل مصر (ت:١٠٦١هـ):

قال المحبي: «له مال جزيل وإنعام كثير على طلبة العلم»[2].

- العلامة أبو الثناء محمود الآلوسي المفسر (ت:١٢٧٠هـ):

قال حفيده وسـميه الشـيخ محمود شـكري الآلوسي في ترجمته: «كان له على الطلبة وافر إنعام، وكثير إكرام، وكم سكن منهم داره، وأحلهم جواره، وأطعمهم من طعامه، وفاكههم بلذيذ كلامه»[3].

- الشيخ محمد بن عبد الله الإلغي المغربي (١٢٦٥-١٣٠٣هـ):

قـال الـزركلي: «أول من نـشر التعليم الحديـث في بلدة «إلغ» بسـوس. تعلـم في تنكـرت وعاد إلى «إلغ» (١٢٩١هـ) فحول مسـجدها إلى مدرسـة،

(١) فهرس الفهارس (١/ ٣٩٧).

(٢) خلاصة الأثر (٤/ ٤٩١).

(٣) المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر (ص٢٤).

وزاد فيـه بعـض الأبنية. وحلَّت مجاعـة في «إلغ» فكان تلاميـذه ضيوفاً عنده بضع سـنوات، واستعان ببعض أصدقائه على الاستمرار في التدريس وإدارة المدرسة»[1].

- الشيخ سليم العطار شيخ الشام ورئيس علمائها (ت:١٣٠٧هـ):

«كان ينتـصر لطلبـة العلـم أشـد انتصـار، ويجـير مـن ينتسـب لجنابـه أحسن جوار»[2].

- الحافظ أحمد شاكر الاصطنبولي (ت:١٣١٥هـ):

جـاء في ترجمتـه أنه: «كان في جوار جامع السـلطان سـليم مطعمٌ خيريٌّ لكلِّ وارد، معروف بعمارة السلطان سليم يرتاده فقراء الطلبة خاصةً يحتسون فيه حساء مع دفع رغيف لكل واحد منهم بعد صلاة الصبح كلّ يوم، ولـمَّـا علـم صاحـب الترجمة أن هناك كثـيراً من الطلبـة الفقراء يأبـون ارتياده ضناً بكرامتهـم عـن الوقوف موقـف البائس الفقـير، بدأ يمر بعد صـلاة الصبح بالمطعـم المذكور ويأخذ حسـاء ورغيفاً ويقعـد القرفصاء فيحتسي الحسـاء، ويأكل الرغيف.

ولـمَّـا علـم فقـراءُ الطلبة الأبـاة ذلك بـدأوا يزدحمـون في المطعم، ولا يأبون الحضور بعد حضور مثلِهِ في جاهه ومنزلته في قلوب الأمة، ومَن الذي

---

(١) الأعلام (٦/ ٢٤٣) ومصدره المعسول (١/ ١٦٠-١٨٣).

(٢) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (١/ ٩١).

يستطيع مِن أمثاله في الجاه والمنزلة أَنْ يقف نفسه في مثل هذا الموقف للتفريج عن قلوب فقراء الطلبة؟!»[1].

- العالم الذكي الشيخ مصطفى الحلاق (ت:١٣٢٩هـ):

جاء في ترجمته أنه «كان كثير الضيافات لأصدقائه وتلاميذته، يعمل لهم أحسن المطاعم حسب جهده، وله براعة في فن الطبخ، وتفنن في إجادة ذلك»[2].

- الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرزاق الذي تولى مشيخة الأزهر (١٣٠٢-١٣٦٦هـ):

قال الأستاذ محمد كرد علي في ترجمته: «كان الأستاذ يجري صدقات على أرباب الستر، ويعاون البائسين بما يخفف بؤسهم، ولا يحب أن يطلع أحداً على ما تندى به يده الكريمة...

سألت مرة محاسب كلية الآداب وهو تلميذ من تلاميذ الأستاذ عمّا إذا كان يحب أستاذه حقيقة فأجابني: وكيف لا أحبه وصفاته التي تحببه إلى النفوس كثيرة؟!

ثم قال: اسمع قصة من قصصه فتعرف أني على حق في إكباري أخلاقه.

---

(١) التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز (ص٩٩-١٠٠).

(٢) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (١/ ٢٧٠).

جاءني ذات صباح يسألني عن عدد الطلبة الذين توقفوا عن أداء الرسوم الجامعية وهم مهددون بالطرد إن لم يوفوا ما عليهم، فأحصيتهم له فقال: كم يبلغ مجموع المبلغ المطلوب منهم؟ فقلت: كذا، فقال: خذه مني ولا تطالبهم بعدها، وإذا سألوك قل لهم: إن الجامعة قررت إعفاءهم، ولا تذكر لهم اسمي بالله عليك. وأذكر أنهم كانوا نحو ثلاثين طالباً.

وله من هذا القبيل صدقات ينفق عليها من راتبه، ومن ملك ورثه من أبيه في بلده من الصعيد»[1].

- العلامة الفقيه الشيخ أحمد الكردي مفتي حلب (ت:١٣٧٣هـ):

قال حفيده الأستاذ أحمد الحجي في ترجمته: «كان يحب طلاب العلم وبخاصة النابهين منهم، كما كان يحنو على الفقراء من طلاب العلم ويسعى جهده لتوفير حاجاتهم ومواردهم المالية ليفرغوا للعلم، وكثيراً ما سعى جهده لهؤلاء في توظيفهم في الإمامة أو الخطابة أو الأذان بحسب كفاءاتهم العلمية، لتوفير رواتب شهرية لهم يستطيعون معها متابعة طلب العلم الذي لا يرى في حياته عبادة أفضل منه بعد الإيمان بالله تعالى. وكثيراً ما خاصم بعض أعضاء مجلس الأوقاف الذي كان يرأسه من أجل تعيين إمام أو خطيب من هؤلاء إذا نازعوا فيه رغم تأهله له، وكذلك إذا نازعوا في زيادة راتب إمام

(١) المعاصرون (ص٤٣٦-٤٣٧).

أو خطيب لا يكفيه راتبه لحاجاته الأساسية، لأنه كان يرى أن رواتب أرباب الشعائر الدينية هي من أهم ما يستحق من واردات الأوقاف الخيرية»[1].

وقال: «كان يحب طلاب العلم ويعطف عليهم ويقرّبهم ويبحث معهم مشكلاتهم، ويسعى جهده لإفادتهم...»[2].

- العلامة الفقيه المحدِّث النسابة الوراق الشيخ محمد المصطفى بن عبد القادر العلوي الشنقيطي (ت:١٣٨٩هـ):

قال تلميذه الأستاذ عبد الوهاب أبو سليمان: «كان - رحمه الله - عالماً متواضعاً خلوقاً يعطف على طلاب العلم ويكرمهم، وينصحهم لما يفيدهم من الكتب والعلوم، كريم النفس»[3].

* * *

(١) مقدمة الفتاوى الحلبية (١/ ١٣).
(٢) مقدمة الفتاوى الحلبية (١/ ١٤).
(٣) العلماء والأدباء الوراقون في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري (ص١٤٥).

مساواتهم بالنفس في التعامل

ومن العناية بهم مساواتهم بالنفس في التعامل، والحرص على صحتهم وراحتهم، والخوف عليهم من الأعراض الطبيعية:

- قال الإمام النووي يوصي المعلّم: «وينبغي أن يشفق على الطالب، ويعتني بمصالحه، كاعتنائه بمصالح ولده، ومصالح نفسه، ويجري المتعلم مجرى ولده في الشفقة عليه... وينبغي أن يحب له ما يحب لنفسه من الخير، وأن يكره له ما يكره لنفسه من النقص مطلقاً، فقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أكرم الناس عليَّ جليسي الذي يتخطى الناس حتى يجلس إليَّ، لو استطعت أن لا يقع الذباب على وجهه لفعلت. وفي رواية: إن الذباب ليقع عليه فيؤذيني»[1].

- وروى الإمام الذهبي في ترجمة الإمام الحافظ الثقة هارون الحمّال (ت:٢٤٣هـ) أنه قال: «جاءني أحمد بن حنبل بالليل ومسّاني فقال: شغلتَ اليوم وأنت قاعد تحدِّث الناسَ في الفيء، وهم في الشمس، بأيديهم الأقلام، لا تفعل، إذا قعدتَ فاقعدْ مع النَّاس»[2].

---

(١) التبيان (ص٢٢). وقد أفاد منه الغزي في الدر النضيد (ص١٠٩) بلا عزو. وقول ابن عباس مروي في الفقيه والمتفقه (٢/ ٢٢٦-٢٢٧)، والجملة الأولى منه في الأدب المفرد (ص٣٩١) وغيره.

(٢) تذكرة الحفاظ (٢/ ٤٧٨).

- وقد جاء عن الإمام الشافعي أنه تحمل وهج الشمس من أجل طلابه، قال الربيع بن سليمان: كان الشافعي رحمه الله يُملي علينا في صحن المسجد، فلحقته الشمس، فمرَّ به بعض إخوانه فقال: يا أبا عبد الله في الشمس؟ فأنشأ الشافعي يقول:

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم

ولن يكرم النفس الذي لا يهينها[(١)]

* * *

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٧٤). وقد مرَّ هذا البيت (ص٥٥) وبينهما اختلاف، وانظر: ديوان الشافعي للأستاذ مجاهد مصطفى بهجت (ص١٥٨-١٥٩).

مراعاة أحوالهم المعاشية والنفسية

ومن العناية بهم مراعاة أحوالهم المعيشية والنفسية، ومساعدتهم في ذلك:

ومن أجلى الصور المنقولة عنهم في هذا المجال ما جاء عن:

- الإمام الوليد بن عتبة الأشجعي الدمشقي (ت: ٢٤٠هـ):

روى الخطيب البغدادي بسنده إلى محمد بن فراس العطار قال: «كان الوليد بن عتبة يقرأ علينا في مسجد باب الجابية «مصنفات» الوليد بن مسلم، فكان رجل يجيء وقد فاته ثلث المجلس، ربع المجلس، أو أقل أو أكثر، فكان الشيخ يعيده عليه، فلمّا كَثُرَ ذلك على الوليد بن عتبة منه، قال له: يا هذا أي شيء يلبث بك؟ الله محمود لئن لم تجيء مع الناس من أول المجلس لا أعدتُ عليكَ شيئاً، قال: يا أبا العباس أنا رجل مُعيل، ولي دكان في «بيت لهيا» فإن لم أشتر لها حويجاتها من غدوة، ثم أغلق وأجيء أعدو، وإلا خشيتُ أن يفوتني معاشي. فقال له الوليد: لا أراك هاهنا مرةً أخرى، فكان الوليد بن عتبة يقرأ علينا المجلس، ويأخذ الكتاب ويمرُّ إلى بيت لهيا حتى يقرأ عليه المجلس في دكانه»[1].

- ويدخل في هذا الترويحُ عنهم وإجمامُهم:

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٣٠٧).

- قال ابن فرحون في ترجمة الإمام أبي بكر الطرطوشي نزيل الإسكندرية ودفينها (ت: ٥٢٠هـ): «ذكر أن الطرطوشي كان صاحب نزهة مع طلبته، في أكثر الأوقات يخرج معهم إلى البستان، فيقيمون الأيام المتوالية في فرجة ومذاكرة، ومداعبة مما لا يقدح في حق الطلبة، بل يدل على فضلهم، وسلامة صدورهم».

قال أحد تلاميذه: «وخرجنا معه في بعض النُزه، فكنا ثلاثمئة وستين رجلاً، لكثرة الآخذين عنه، المحبين في صحبته، وخدمته»[1].

- وقال ابن الأبار في ترجمة الإمام المقرئ المسند المعمر علي بن محمد بن علي بن هذيل البلنسي الأصيلي (٤٧١-٥٦٤هـ):

«كان منقطع القرين في الفضل والدين والورع والزهد والصلاح، مع الثقة والعدالة، والتواضع، والإعراض عن الدنيا والتقلل منها، صواماً قواماً كثير المعروف والصدقة، وكانت له ضيعة بغربي بلنسية وبمليلة من جزء الرصافة منها، فإذا خرج لتفقدها صحبه الطلبة إليها، فمن قارئ عليه هناك، ومن سامع للحديث، ومتحمل للرواية، وهو منشرح الصدر، منطلق الوجه، طويل الاحتمال على فرط ملازمتهم، وإتيانهم إياه ليلاً ونهاراً، ولا يسأم ولا يضجر في الكبرة ولا قبلها»[2].

---

(١) الديباج المذهب (٢/ ٢٤٦).

(٢) التكملة لكتاب الصلة (٣/ ٢٠١-٢٠٢). .... =

- وقال الإمام تاج الدين السبكي: « حكى لي الحافظ تقي الدين ابن رافع قال: سبقنا [الإمام تقي الدين السبكي] مرة إلى البستان، فجئنا بعده، ووجدناه نائماً فما أردنا التشويش عليه، فقام من نومه، ودخل الخلاء على عادته، وكان يريد أن يكون دائماً على وضوء، فلما دخل ظهر لنا كراس تحت رأسه، فأخذناه[1]، فإذا هو من (شرح المنهاج) وقد كتب عن ظهر قلب نحو عشر أوراق.

قال: فنظرها رفيق كان معي، وقال: ما أعجب لكتابته لها من حفظه، ولا مما نقله من كلام الرافعي و(الروضة)، وإنما أعجب من نقله عن سُليم في (المجرد)، وابن الصباغ في (الشامل) ما نقل، ولم يكن عنده غير (المنهاج) ودواة وورق أبيض، وكنا قد وجدنا فيها نقولاً عنها»[2].

والشاهد أن اجتماعهم هذا كان في البستان.

= وحين توفي هذا الإمام كانت جنازته مشهودة، والجمع فيها عظيماً جداً، حضرها السلطان يومئذ أبو الحجاج يوسف بن سعد، وتزاحم الناس على نعشه، ورثاه أبو محمد واجب بن عمر بن واجب بقصيدة حسنة، منها هذان البيتان:

لم أنس يوم تهادت نعشه أسفاً … أيدي الورى وتراميها على الكفن

كزهرة تتهاداها الأكف فلا … تقيم في راحة إلا على ظعن

كما في المصدر المذكور (٣/ ٢٠٣) وهذا يدل على عظيم مكانه في الإسلام وأثره الكبير في خدمة العلم والدين، وإفادة الطالبين.

(١) كأنهم علموا أنه لا يمانع من ذلك.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (١٠/ ١٩٩).

- وقال ابن حجر في ترجمة شهاب الدين أحمد بن أبي بكر العبّادي الحنفي (ت: ٨٠١هـ):

«كان يحسن إلى الطلبة ويدنيهم، ولهم عليه كل سنة يوم يذهب بهم إلى الربيع ويضيفهم»[١].

- ومن مراعاة أحوالهم المعاشية عدم تفضيل الغني على الفقير، روى البيهقي عن أبي مزاحم موسى بن عبيد الله الخاقاني أنه أنشد:

علِّم العلم مَنْ أتاك لعلمٍ   واغتنمْ ما حييت منه الدعاءَ

وليكن عندك الفقيرُ إذا ما   طَلَبَ العلم والغنيُّ سواءَ[٢]

* * *

(١) ذيل الدرر الكامنة (ص٦٣).

(٢) المدخل إلى السنن الكبرى (ص٣٧٧).

إشراقات الضحى

- الاهتمام بذوي النبوغ واحتضانهم.

- إمدادهم بالكتب.

- تقوية نفوسهم على البحث.

- تدريبهم على النظم والنثر.

- مساندتهم في التأليف.

- تشجيعهم وتقديرهم بالنقل عنهم.



الاهتمام بذوي النبوغ واحتضانهم

ومـن عنايتهم بالطلبة الاهتمام بذوي الـذكاء والنبوغ، وتقدير أصحاب المواهب والملكات، وتوجيههم إلى ما يمكن أن يبرعوا فيه:

- وهـذا ما فعلـه الإمام محمـد بن إدريـس الشـافعي (ت:٢٠٤هـ) مع محمد بن عبد الله بن عبد الحكم الشافعي المصري الفقيه (ت:٢٦٨هـ):

جاء في ترجمته أنه «لزم الشافعي مدة، وتفقه به وبأبيه عبد الله وغيرهما... وكان الشافعي معجباً به لذكائه، وحرّضه على الفقه».

قـال المزني وهـو يحكي عن عناية الشـافعي به وإعجابـه بموهبته وإقباله عليه: «كنا نأتي الشـافعي فنسمع منه، فنجلس على باب داره، ويأتي محمد بن عبـد الحكـم فيُصعد به، ويطيل المكث، وربما تغدى معه، ثم نزل، فيقرأ علينا الشـافعي، فإذا فرغ من قراءته قُرّب إلى محمد دابته فركبها، وأتبعه الشـافعي بصره، فإذا غاب شـخصه قال: وددت لو أن لي ولداً مثله وعليَّ ألف دينار لا أجد لها قضاء»!.

وقد حُمِلَ في محنة القول بخلق القرآن إلى بغداد، ولم يُجِبْ إلى ما طُلِبَ منه، ورُدَّ إلى مصر، ومازال يعلو حتى انتهت إليه رئاسة العلم في مصر.

ومن تصانيفه:

- أحكام القرآن.

- الرد على الشافعي فيما خالف فيه الكتاب والسنة.

- أدب القضاة[1].

وهذا كله يبين صدق فراسة الشافعي فيه، وأن نظره كان في محله، ولكن ليته إذ رَدَّ على شيخه لم يبلغ هذا المبلغ!.

- وجاء في ترجمة الإمام القاضي أبي القاسم حماس بن مروان الهمداني (٢٢٢-٣٠٣هـ):

أنه «لما دخل حلقة محمد بن عبد الحكم، وابن عبد الحكم لا يعرفه، وتكلم حمّاس فصرف إليه ابن عبدا لحكم وجهه، ثم أراده في الكلام، ثم سأله ابن عبد الحكم عن مسألة من الجِراح فأجابه، ثم سأله عن أخرى فأجاب وجوَّد، فقال ابن عبد الحكم: يمكن أن تكون حمّاس بن مروان؟ قال: نعم. فعاتبه إذ لم يقصد إليه. ثم قرَّبه وأكرمه»[2]. وهاهو يفعل ما فعله معه شيخه الشافعي.

- وجاء في ترجمة الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ) أنه رحل - في رحلاته العلمية لطلب العلم - إلى الكوفة «فكتب فيها عن أبي كريب محمد بن العلاء الهمداني، وهناد بن السري، وإسماعيل بن موسى وغيرهم.

(١) انظر: الوافي بالوفيات (٣/ ٣٣٨-٣٣٩).

(٢) الديباج المذهب (١/ ٣٤٣).

وكان أبو كريب شرس الخلق من كبار أصحاب الحديث،

قال أبو جعفر: حضرتُ باب داره مع أصحاب الحديث، فاطلع من باب خوخة له، وأصحابُ الحديث يلتمسون الدخول ويضجّون، فقال: أيكم يحفظ ما كتب عني؟ فالتفت بعضهم إلى بعض ثم نظروا إلي وقالوا: أنت تحفظ ما كتبت عنه. قال: قلت: نعم، فقالوا: هذا فسله، فقلت: حدثتنا في كذا بكذا، وفي يوم كذا بكذا. قال: وأخذ كريب في مسألته[1] إلى أن عظم في نفسه فقال: ادخل إليَّ. فدخل إليه وعرف قدره على حداثته، ومكّنه من حديثه. وكان الناس يسمعون به[2] فيقال: إنه سمع من أبي كريب أكثر من مئة ألف حديث»[3].

- وجاء في ترجمة الإمام الحافظ الجليل أبي بكر محمد بن عبد الله ابن الجد الفهري (٤٩٦-٥٨٦):

أنه «برع أولاً في العربية، واقتصر عليها، ثم مال إلى دراسة الفقه، ومطالعة الحديث، والإشراف على الاتفاق والاختلاف، بتحريض أبي الوليد ابن رشد إياه على ذلك، لما رأى من سداد فطرته، واتقاد فطنته».

قال ابن فرحون: «وانتهت إليه الرئاسة في الفتيا، وقدِّم للشورى مع أبي بكر بن العربي، ونظرائه حينئذ بإشبيلية في سنة إحدى وعشرين وخمسمئة،

---

(١) في الأصل: مسألة. وأرجح أن تكون ما أثبت.

(٢) أي بسببه.

(٣) معجم الأدباء (٦/ ٢٤٤٧).

وتمادى به ذلك نيفاً على ستين سنة في ازدياد سمو الرئاسة، واطراد تمكن الحظوة»[1] مما يدل على صدق فراسة ابن رشد فيه وتحققها.

- وقال الصفدي في ترجمة الإمام النحوي الأديب المفسِّر أبي حيان: محمد بن يوسف الأندلسي (٦٥٤-٧٤٥هـ):

«كان له إقبال على أذكياء الطلبة، يعظِّمهم، وينوِّه بقدرهم»[2].

- وهذا الإقبال على الأذكياء واكتشاف المواهب والملكات وتوجيهها هو ما فعله الإمام الصفدي (ت:٧٦٤هـ) مع شمس الدين ابن الصائغ: محمد بن عبد الرحمن الحنفي (قبل:٧١٠-٧٧٦هـ) أيضاً:

قال الصفدي في ترجمته: «اجتمعت به غير مرة بالديار المصرية بعد حضوره من دمشق، وصحبته من حلقة الشيخ أثير الدين [أبي حيان الأندلسي]، قرأ عليه العربية، وعلى الشيخ شهاب الدين ابن المرحل. وقرأ بالروايات وجود العربية، ولم يكن له إلمام بالأدب ولا له نظم، فلما اجتمعت به كنت السبب في ميله إلى الأدب، وأخذ ينظم قليلاً قليلاً إلى أن مهر وصار في عداد الأدباء والشعراء، ومال إلى الأدب ميلاً كلياً، وأقبل على النظم، وغاص على المعاني، وراعى التورية والاستخدام في شعره».

(١) الديباج المذهب (٢/ ٢٨٧).
(٢) انظر: البدر الطالع (ص٨٠٦).

ثـم ذكر له اثني عشر بيتاً، كل بيتين على حـدة، وأولها هذان البيتان وقد أنشدهما للصفدي في القاهرة سنة (٧٣٧هـ):

قاس الورى وجه حبيبي بالقمرْ لـجـامعٍ بينهما وهـو الـخـفـر

قلت القيـاسُ باطـلٌ بـفـرقـه وبعـد ذا عنديَ في الوجـه نظـر(١)

ومـن الظاهـر أن ابن الصائغ كان لديـه موهبة كامنة واسـتعداد فطري، ولكنهـما كانـا بحاجة إلى مَنْ يكتشـفهما وينبه صاحبهما إليهـما، وهذا ما فعله الصفدي، وبذلك أعان ابن الصائغ على اكتشاف ذاته.

- وقال السخاوي في ترجمة الحافظ العراقي (ت:٨٠٦هـ):

«ونظـر في الفقـه وأصوله، فحـضر في الفقه دروس ابن عـدلان، ولازم العـماد محمد بن إسـحاق البلبيسي، والجمال الإسـنوي، وعنه وعن الشـمس ابن اللبان أخذ الأصول وتقدم فيهما، بحيث كان الإسـنوي يثني على فهمه، ويستحسن كلامه في الأصول، ويصغي لمباحثه فيه، ويقول: إن ذهنه صحيح لا يقبل الخطأ.

وفي أثنـاء ذلـك أقبل على علم الحديث بإشـارة العز بـن جماعة، فإنه قال لـه - وقـد رآه متوغلاً في القـراءات -: إنه علم كثير التعـب، قليل الجدوى، وأنـت متوقـد الذهـن، فـاصرف همتـك إلى الحديـث، فأخـذه بالقاهرة عن

---

(١) الوافي بالوفيات (٣/ ٢٤٤).

العـلاء التركماني الحنفـي، وبه تخرج، وعليـه انتفع...»[1]. وصـار إلى المكانة العظيمة المعروفة.

- وقال السـخاوي في ترجمة شـيخه الإمام الحافظ ابن حجر العسـقلاني (ت:٨٥٢هـ):

«وأمـا شـدة رغبتـه في العلم ومحبتـه في المذاكرة بـه والمباحثة فيـه، فوراء العقل، مع كثرة الإنصاف ولو على نفسـه، وعدم استنكاف سماع الفائدة ولو من صغار آحاد طلبته، بل يستحسـنها ويأمر الحاضرين بسـماعها، حتى رأيته مـرة يقول - وقد تكلم شـابٌ بشيء وهو خارج الحلقة -: اسـمعوا ما يقول الشـابُّ، فإنه يقول جيداً. وطال ما يقول: مقالة هذا هي الصواب، مع كونه كان قرَّر خلافها رجوعاً منه إلى الحق، وإنصافاً وعدم محاباة.

وحكى لي شـيخنا العلامة مفخر العصر تقي الدين الشُـمُنِّي - وهو من تلامذته - قال: كنت أحضر عنده بعد أن اشتغلت وفهمت العلم فيكرمني، وأفهم أن سـبب ذلك كونُ والدي من جماعتـه، لا لكوني طالبَ علم، لأنه لم يكن اطلع على ذلك. إلى أن حضرت بين يديه مرة على العادة في «المحمودية» وقـارئ يقرأ عليـه حديث: «فليخلقـوا ذرة وليخلقوا حبة أو شـعيرة» فوقع السـؤال عـن الحكمة في الترقـي كذلك. قال [الشـمني]: فأجبـت بأن صنع الأشـياء الدقيقـة فيـه صعوبـة، والأمر لمعنـى التعجيـز، فناسـب التَّرقِّي من

---

(١) الضوء اللامع (٤/ ١٧٢)، والتحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (٢/ ١٦٢).

الأعلى للأدنى. قال: فأعجبه ذلك، وأقبل عليَّ، وصار يلحظني ويكرمني ويصغي لمقالي»[1].

وفي هذا من تقدير الموهبة وتشجيعها وتنميتها ما هو واضح.

- وقال العلامة عبد الرحمن بن علي الديبع (ت:٩٤٤هـ) وهو يحكي لقاءه في مكة بالإمام الحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت:٩٠٢هـ)، وما قرأه وسمعه عليه: «وكان يجلني ويشير إلي ويعظمني ويقدمني على سائر الطلبة ويؤثرني، وأحسن إلي كثيراً، جزاه الله عني خير الجزاء»[2].

- وقال العيدروس في ترجمة العلامة الصالح الشهيد جمال الدين محمد طاهر الهندي الملقب بملك المحدِّثين (ت:٩٨٦هـ):

«كان يرسل إلى معلِّم الصبيان ويقول: أيما صبي حسن ذكاؤه وجيد فهمه أرسله إليَّ، فيرسل إليه، فيقول له: كيف حالك؟ فإن كان غنياً يقول له: تعلَّمْ، وإن كان فقيراً يقول له: تعلَّمْ ولا تهتم من جهة معاشك، أنا أتعهد أمرك وجميع عيالك على قدر كفايتهم، فكن فارغ البال، واجتهد في تحصيل العلم. فكان يفعل ذلك بجميع من يأتيه من الضعفاء والفقراء ويعطيهم قدر ما وظفه لهم، حتى صار منهم جماعة كثيرة علماءَ ذوي فنون كثيرة، فأنفق جميع ماله في ذلك...»[3].

---

(١) الجواهر والدرر (٣/ ١٠٤٢-١٠٤٣).

(٢) بغية المستفيد (ص٢٣١)، والنور السافر (ص٢٨٩).

(٣) النور السافر (ص٤٧٦).

وهـذه لفتـة رائعة من هـذا العالم في الاهتـمام بذوي الذكاء والاسـتعداد منذ صغرهم.

- وقـال الأسـتاذ عـلي الطنطـاوي (ت:١٤٢٠هــ) مبينـاً أثـر الاهتمام بأصحـاب الملـكات: «كنت أنظم أبياتاً من الشـعر أو أسرقهـا، كما ينظم كل مبتدئ، ويسرق، حتى إذا اجتمع عندي كثير من القطع، عرضته على أسـتاذ العربية، وكان لسـوء الحظ تركياً يسـمَّى إسماعيل حقي أفندي، يعلمنا النحو العربي باللسـان التركي! فلما قرأه سـخر مني وسـبَّني وتهكم عليَّ، وجاء من بعـدُ أخـي أنور العطار، فنظـم كما كنت أنظم حتـى إذا اجتمع عنده كثير من القطع، عرضه على الأسـتاذ كرد علي رئيـس المجمع العلمي العربي، فأقام له حفلة تكريمية!.

فكانت النتيجة أني عجزت عن الشعر، حتى لنقل البحر بفمي أهون عليَّ من نظم خمسـة أبيات، وأن أخي أنور العطار غدا شـاعر الشـباب السوري، وسيغدو شاعر شباب العرب»[1].

* * *

---

(١) فكر ومباحث (ص١٤٤)، وقد قدَّم الأسـتاذ الطنطـاوي لصديقه أنور العطار ديوانه (في ظـلال الأيـام) عام (١٩٤٨م)، وهـو تقديم جميل فاقرأه في كتاب (مقدمات الشـيخ علي الطنطـاوي) التـي أحسـن بجمعهـا وترتيبها والتقديم لها الأسـتاذ مجـد مكي (ص٢٠-٣٠).

إمدادهم بالكتب

ومن العناية بهم مساعدتهم فيما يحتاجون إليه من الكتب، ولا سيما أيام التحصيل التي يغلب فيها عليهم ضيق ذات اليد عن اقتناء الكتب.

وكان للعلماء في ذلك جهود مشكورة في حياتهم وبعد موتهم إذ كان الكثير منهم يقف كتبه لتظل صدقة جارية ينتفع بها الناس عامة[١].

وأذكر فيما يأتي بعض النماذج من الذين كانوا يعيرون الكتب أو يهبونها:

- الحافظ أبو بكر المعروف بابن الخاضبة (ت:٤٨٩هـ):

قال ابن سكرة: كان محبوباً إلى الناس كلهم، فاضلاً، حسن الذكر، ما رأيت مثله على طريقته، وكان لا يأتيه مستعير كتاباً إلا أعطاه، أو دله عليه[٢].

- الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢):

وكان له في الإعارة خبر مذكور، وجهد مشكور، وعلم منشور:

قال تلميذه السخاوي: «وأما عاريته للكتب، فأمر انفرد به عن سائر أهل مصره، حتى لا أعلم نظيره في ذلك، بل كان يعيرها لمن يسافر بها، وربما

---

(١) اقرأ: «الوقف وبنية المكتبة العربية: استبطان للموروث الثقافي» للأستاذ يحيى محمود ساعاتي. و«الكتب والمكتبات في الأندلس» للأستاذ عبد الرحمن علي الحجي (ص١٤٢-١٥٧).

(٢) تذكرة الحفاظ (٤/ ١٢٢٤).

افتدى كتب (المحمودية)[1] التي تحت نظره بها، حتى كان - رحمه الله - يقول لي: لا تأخذ من كتب الخزانة إلا ما ليس في كتبي، بل أقسم بالله أنه نهاني في وقتٍ عن الاستعارة من غيره.

ورأيت معه في رمضان من السنة التي توفي فيها مجلداً كنت أحبُّ الوقوف عليه، فالتمست منه عاريته بعد فراغ أربه من مطالعته، فقال: نعم. ومضى بقية الشهر وشوال وذو القعدة، واتفق دخولي مع الجماعة لعيادته في ذي الحجة، فأشار إليَّ فأخذته من بين كتبه. هذا وهو ضعيف، وقد مضى من سؤالي له نحو ثلاثة أشهر ولم ينس ذلك. وبالله قد رأيت بعض أصحابنا تأثر من ذلك، فإنا لله...

ولم يكن غالباً يمضي يوم من الأيام إلا وأستعير منه شيئاً من الكتب، وهو يسعف بكلِّ ما ألتمسه منه من ذلك، ولا يظهر مللاً، بل والله لو لم أفهم منه محبة ذلك، ما أكثرت منه... .

ولو شرحت ما اتفق لي معه من ذلك، لقضي العجب، فكيف بغيري من جماعته، بل كان شديد الإنكار على مَنْ يبخل بعارية الكتب...

وقد ضاع له بسبب ذلك شيء كثير جداً، بحيث أخبرني في سنة إحدى وخمسين (٨٥١هـ) أنه فقد من كتبه ما ينيف على مئة وخمسين مجلدة، وربما بيعت في السوق ويشتريها! ورأينا بعد نحو من عشرين سنة من وفاته شيئاً من

---

(١) الخزانة العلمية الشهيرة.

نفائس كتبه التي كنت أتلهف على الوقوف عليها عند بعض من استعارها، فاستمرت عنده حتى بيعت في تركته، ومشى أمرها»[1].

- العالم النبيل الرئيس محمد بن محمد الأنصاري الحموي ثم القاهري الشافعي المعروف بابن البارزي (٧٩٦-٨٥٦هـ):

قال السخاوي في ترجمته: «كان إماماً عالماً ذكياً عاقلاً رئيساً ساكناً كريماً سيوساً صبوراً حسن الخلق والخلق والعشرة، متواضعاً محباً في الفضلاء وذوي الفنون، مكرماً لهم إلى الغاية، لا سيما الغرباء، حتى صار محطاً لرحالهم، راغباً في اقتناء الكتب النفيسة، غير مستكثر لما يبذله في تحصيلها، عجباً في ذلك، سمحاً بالعارية جداً»[2].

- العالم المتفنن الصالح العابد الناسك محمد بن محمود الونكري المعروف بـ: بَغْيُعُ (٩٣٠-١٠٠٢هـ):

قال تلميذه العلامة أحمد بابا التنبكتي بعد وصفه بجميل الصفات: «... إلى محبة العلم وملازمة تعليمه، وصرف أوقاته فيه، ومحبة أهله، والتواضع التام، وبذل نفائس الكتب الغريبة العزيزة لهم، ولا يفتش بعد ذلك عنها كائناً ما كان، من جميع الفنون، فضاع له بذلك جملة من كتبه، نفعه الله بذلك، وربما يأتي لبابه طالب يطلب كتاباً فيعطيه له من غير معرفته مَنْ هو، فكان العجب العجاب في ذلك إيثاراً لوجهه تعالى، مع محبته للكتب، وتحصيلها

---

(١) الجواهر والدرر (٣/ ١٠١٨-١٠٢٠).

(٢) الضوء اللامع (٩/ ٢٣٨).

شراء ونسخاً، وقد جئته يوماً أطلب منه كتبَ نحوٍ، ففتش في خزانته، فأعطاني كل ما ظفر به»[1].

- وجاء في ترجمة العالم الوجيه النبيل سالم ابن الإمام الحافظ عبد الله البصري المكي (ت: ١١٦٠هـ) أنه «أخذ الحديث عن والده محدِّث الحرم، وعظمه الناس لعلمه وخلقه، جمع مكتبة ثرية من كتب والده، ومما اقتناه من النفائس، فكانت عدة خزائن من الكتب، يقوم على كل خزانة منها مملوك حبشي بيده دفتره الذي يحوي قائمة الكتب التي في الخزانة، وكان لا يبخل بها على أهل العلم وطلبته»[2].

- وجاء عن العلامة الشيخ عبد الحكيم الأفغاني الدمشقي (ت: ١٣٢٦هـ) أنه «قبيل وفاته بأيام قليلة وزع كتبه جميعها، وأثاث حجرته الخلق على تلاميذه الذين أحبوه وأخلصوا له»[3].

- وجاء عن الشيخ محمد سليم السكري (ت: ١٣٢٧هـ) أنه ترك كتبه للمطالعة في جامعه جامع درويش باشا بدمشق[4].

- وجاء عن العلامة الشيخ أبي الخير الميداني (ت: ١٣٨٠هـ) أنه «خرج عن مكتبته - وهي أعز الأشياء لديه - مرتين، يؤثر بها طلابه على نفسه»[5].

---

(١) كفاية المحتاج لمعرفة مَنْ ليس في الديباج (ص٤٧٦-٤٧٧).

(٢) التاريخ والمؤرخون في مكة للحبيب الهيلة (ص٣٩٩).

(٣) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (١/ ٢٤٥).

(٤) المصدر السابق (١/ ٢٥٤).

(٥) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (٢/ ٧٢٨-٧٢٩)، وانظر: الإمام الرباني العلامة الشيخ أبو الخير الميداني (ص٢٠).

وقـد يعرض لبعض العلماء تأخر في الإعارة لعارض، ولكن يعودون إلى ما كانوا عليه:

- روى البيهقي عن الربيع بن سـليمان، قال: قال لي الشـافعي: «سـألت محمد بن الحسن أن يعيرني كتاباً، فكتبت إليه بهذه الأبيات:

قـل لمن لم تـر عــين مَـنْ رآه مثله

ومن كأنَّ مَنْ رآه قد رأى مَنْ قبله

العلم ينهى أهله أن يمنعـوه أهله

لـعـلـه يـبـذلـه لأهـلـه لـعـلـه

قـال: فحمـل محمـد بـن الحسـن الكتـاب في كمِّـه وجـاءني معتـذراً عن حبسه»[1].

- وقال الزبيدي: «حدثني قاضي القضاة بالأندلس وهو المنذر بن سعيد البلوطـي قال: أتيـت [أبا جعفر] ابن النحاس في مجلسـه [بمصر]، فألفيته يملي في أخبار الشعراء شعر قيس بن معاذ المجنون حيث يقول:

خليليَّ هل بالشام عين حزينة تبكِّي على نجــدٍ لعلِّي أعينُها

قدَ اسلمها الباكون إلا حمامة مطـوقة بـاتت وبـات قـرينُها

تجاوبها أخرى على خـيزرانة يكاد يدنِّيها مـن الأرض لينُها

---

(١) مناقب الشافعي (٢/ ٨٦). وانظر: ديوان الشافعي للأستاذ مجاهد (ص٩٩ و١٠٢).

فقلت: يا أبا جعفر ماذا - أعزك الله - باتا يصنعان؟

فقال لي: وكيف تقوله أنت يا أندلسي؟ فقلت: بانت وبان قرينها. فسكت ومازال يستثقلني بعد ذلك حتى منعني كتاب (العين) وكنت ذهبت إلى الانتساخ من نسخته، فلما قطع بي قيل لي: أين أنت عن أبي العباس ابن ولّاد؟ فقصدته فلقيت رجلاً كامل العلم حسن المروءة، فسألته الكتاب، فأخرجه إليَّ. ثم تندم أبو جعفر لما بلغه إباحة أبي العباس الكتاب لي، وعاد إلى ما كنت أعرفه منه»[1].

- ومن الشعر الجميل في الإعارة ما قاله خميس الحوزي، وعمر بن عثمان الشعيبي:

قال أبو سعد ابن السمعاني: «أنشدنا أبو بكر عبد الله بن عمران الباقلاني بواسط من لفظه، أنشدنا أبو الكرم خميس بن علي بن أحمد الحوزي لنفسه في إعارة الأجزاء:

كتبي لأهل العلم مبذولة ... أيديهم مثلُ يدي فيها

متى أرادوها بلا منةٍ ... عاريةً فليستعيروها

حاشاي أن أكتمها عنهمُ ... بخلاً كما غيري يخفيها

أعارنا أشياخنا كتبهم ... وسنة الأشياخ نمضيها

---

(١) معجم الأدباء (١/ ٤٦٨-٤٦٩).

وأنشدنا أبو حفص عمر بن عثمان الشعيبي من أهل جنزة لنفسه:

لا تمنعن الأهل كتبك واغتنم في كل وقتٍ أن تعير كتابا

فمعيرها كمعير ماعون فَمَنْ يمنعه لاقى الويل والأنصابا»[1].

ومن ذلك ما وجده الأديب جميل العظم (ت:١٣٥٢هـ) على ظهر مجموعٍ ملكه، فيه سبع رسائل، أولها للبدر الرشيدي في (الألفاظ المكفِّرة):

«قال سعد الدين التفتازاني:

ألا يا مستعير الكتب دعني فإن إعارتي للكتب عارُ

فمحبوبي من الدنيا كتابي وهل أبصرت محبوباً يُعارُ؟

فأجابه السيد الشريف الجرجاني:

ولا تمنع كتابك مستعيراً فإن البخل للإنسان عارُ

ألم تسمع حديثاً صحَّحُوه جزاء البخل عند الله نار؟»[2]

ومَنْ ضن بكتبه عِيبَ عليه ذلك ونُصَّ عليه في ترجمته[3].

---

(١) أدب الإملاء والاستملاء (ص١٧٥)، ونقل الأبيات الأولى ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة (١/ ٤٣٦).

(٢) الصُّبابات فيما وجدته على ظهور الكتب من الكتابات (ص١١٩).

(٣) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (١/ ٣١٧)، والضوء اللامع (١/ ١٣)، و(٣/ ٢٥٤)، و(٩/ ١٩)، و(١٠/ ٢٤٧)، وخلاصة الأثر (٢/ ٢٢٣).

- ومن اللطائف أن الشيخ المحدث عبد الوهاب بن جعفر المعروف بابن الميداني (٣٣٨-٤١٨هـ) كان لا يبخل بإعارة شيء من كتبه، سوى كتاب واحدٍ كان يضن بإعارته، فلما احترقت كتبه استجد جميعها من النُّسخ التي كتبت منها غير ذلك الكتاب الذي ضن بإعارته، فإنه لم يقدر على نسخته، وآلى على نفسه أن لا يبخل بإعارة كتاب[1].

* * *

(١) روى الخبر ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٣٨/ ٣١٤).

تقوية نفوسهم على البحث

ومن العناية بهم تشجيعهم وتقوية نفوسهم على البحث وذكر الفوائد وحل المشكلات، والإصغاء إليهم فيما يقولون، واستخراج ما عندهم، وتعويدهم على المباحثة والمناقشة، ومما جاء عن العلماء في ذلك أذكر هذه الأمثلة:

- الإمام تقي الدين السبكي (ت:٧٥٦هـ):

قال ابنه تاج الدين في ترجمته المطولة الحافلة:

«وإذا ذكر الطالب بين يديه، اليسير من الفائدة، استعظمها وأوهمه أنه لم يكن يعرفها، لقد قال له مرة بعضُ الطلبة بحضوري: حكى ابن الرفعة عن مُجَلِّي، وجهين في الطلاق، في قول القائل بعد يمينه: إن شاء الله، هل هو رافع لليمين فكأنها لم توجد، أو نقول: إنها انعقدت على شرط.

فقلت أنا: هذا في الرافعي، أي حاجة إلى نقله عن ابن الرفعة، عن مُجَلِّي؟

فقال لي الشيخ الإمام: اسكت من أين لك؟ هات النقل، وانزعج.

فقمت وأحضرت الجزء من الرافعي، وكان ذلك الطالب قد قام، فوالله حين أقبلت به قبل أن أتكلم، قال: الذي ذكرته في أوائل كتاب الأيمان من الرافعي، وأنا أعرف هذا، ولكن فقيه مسكين طالب علم، يريد أن يظهر لي أنه استحضر مسألة غريبة، تريد أنت أن تخجله، هذا ما هو مليح.

وكان يتفق له مثل هذا كثيراً، ينقل عنده طالبٌ شيئاً على سبيل الاستغراب، فلا يبكته، بل يستحسنه، وهو يستحضره من أماكن كثيرة،

بحيث يخرج الطالب وهو يتعجب منه لأنه يظنه أنه لم يكن مستحضراً له، وما يدري المسكين أنه كان أعرف الناس به ولكنه أراد جبره»[1].

ومن الواضح أن جبره والإصغاء إليه يقويه ويشجعه، وينمِّي فيه ملكة البحث والمشاركة، ومن أجل هذا الهدف النبيل لا يأبه الإمام تقي الدين بما عسى أن يظنه فيه ذلك الطالب الذي استمع إليه واهتم به وقوَّى نَفْسَهُ... وفي هذا درس آخر في الإخلاص والتفاني في خدمة العلم والدين.

- الإمام جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي الشافعي (٧٠٤-٧٧٢هـ):

قال السيوطي في ترجمته: «انتهت إليه رئاسة الشافعية، وصار المشار إليه بالديار المصرية، وكان ناصحاً في التعليم، مع البر، والدين والتواضع، والتودد، يقرِّب الضعيف المستهان، ويحرص على إيصال الفائدة للبليد، ويذكر عنده المبتدئ الفائدة المطروقة فيصغي إليه كأنه لم يسمعها، جبراً لخاطره...»[2].

- الإمام العلامة القاضي عز الدين بن جماعة (ت٧٩٠هـ):

قال الحافظ ابن حجر في ترجمته: «ذكر لي القاضي جلال الدين البلقيني أنه حضر دروسه، ووصفه بكثرة الاستحضار. قال: وكانت طريقته أنه يلقي

(١) طبقات الشافعية الكبرى (١٠/ ٢١٩-٢٢٠) والعزيز (١٢/ ٢٣١).
(٢) بغية الوعاة (٢/ ٩٢-٩٣)، وشذرات الذهب (٨/ ٣٨٣-٣٨٤). وقوله: «ويذكر عنده..» في الدرر الكامنة (٢/ ٤٦٤).

الآية أو المسألة، فيتجاذب الطلبةُ القول في ذلك والبحث، وهو مصغ إليهم، إلى أن يتناهى ما عندهم، فيبتدئ فيقرر ما ذكروه، ثم يستدرك ما لم يتعرضوا له، فيفيد غرائب وفوائد»[١].

- العلامة سعد الدين محمد بن علي الذهبي المصري الشافعي (٨٥٠-٩٣٩هـ):

كان من العلماء المشهورين بدمشق، قال الشعراني: كان ورده كل يوم ختماً صيفاً وشتاءً، وكان خلقه واسعاً، إذا تجادل عنده الطلبة يشتغل بتلاوة القرآن حتى ينقضي جدالهم»[٢].

والشاهد أنه يفسح لهم المجال للجدال، ولا يمنعهم من المباحثة.

- العالم المتفنن الشيخ إبراهيم بن محمد الصبيبي المدني (ت:١٠٥٦هـ):

قال المحبي في ترجمته: «واحد المدينة المنورة في زمانه علماً وبراعة، وكان يعرف فنوناً تفرد بها، وكان سالكاً طريق من سلف، حسن الشكل، لين الجانب، كثير الإحسان للطلبة، معلماً ناصحاً، مفيداً صالحاً، يقرِّب الضعيف من الإخوان، ويحرص على إيصال الفائدة للبليد المستهان.

وكان ربما ذكر عنده المبتدئ الفائدة المطروقة فيصغي إليها كأنه لم يسمعها جبراً لخاطره»[٣].

---

(١) رفع الإصر عن قضاة مصر (ص٣٣).
(٢) شذرات الذهب (١٠/ ٣٣٠).
(٣) خلاصة الأثر (١/ ٤٢) ويلحظ استفادة المحبي من الأسلوب الوارد في ترجمة الإسنوي في بغية الوعاة كما سبق.

- العلامة المحقق الفقيه الأصولي الزاهد الشيخ عبد الحكيم الأفغاني نزيل دمشق (ت:١٣٢٦هـ):

جاء في ترجمته أنه: «أعطى دروسه حقها فلم يكن يلقي درساً إلا بعد تحضيره، فإن اعترضته مشكلات تدارسها مع نوابغ طلابه قائلاً: «قد أشكل علينا حين المطالعة هذه العبارة ولم نفهم مراد مولانا المؤلف فما قولك يا فلان؟» فإن ظهر له الجواب فرح به وكتبه، وإن لم يجد عند أحد ما يريد قال: «ما ظهر لنا، ربنا يعطينا» وقد يسعى لحل المشكلات إلى بعض العلماء، وقد يكون مَنْ يسعى إليه تلميذه، فالعلم يؤتى»[1].

- الشيخ المصلح المفسر عبد الله العلمي الغزي (ت:١٣٥٥هـ):

دَرَسَ في الأزهر «وفي عام (١٣٠٢هـ) رجع إلى غزة، فنال فيها حظوة بين العلماء، وانهال عليه الطلاب، فأنشأ (أزهراً صغيراً) في الجامع العمري الكبير، وكانت دروسه كالمجالس النيابية إذ كان يطلب من كل تلميذ أن يبدي رأيه في الموضوع بحسب الشرع والعقل، ثم يبين ويشرح للمصيب إصابته، وللمخطئ خطأه بالدليل والبرهان، فعوَّد التلاميذ التفكير والاستنباط في المسائل، ونبغ على يديه عدة علماء فطاحل»[2].

* * *

(١) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (١/ ٢٤٣).
(٢) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (١/ ٤٩٩).

تدريبهم على النظم والنثر

ومن عنايتهم بطلاب العلم إسعافهم في طلبهم وتدريبهم على النظم والنثر:

والأمثلة في ذلك كثيرة، ومن ذلك ما جرى للأديب علي بن موسى بن سعيد المغربي (ت:٦٨٥هـ) مع الشاعر المبدع بهاء الدين زهير بن محمد المهلبي المكي ثم القوصي المصري (٥٨١-٦٥٦هـ).

والخبر يرويه المغربي مفصلاً في أول كتابه «الغراميات»، وملخصه أنه أعجب كثيراً بما بلغه من شعر بهاء الدين زهير وهو في بلاده إلى أن اجتمع به في القاهرة، وسمع منه مباشرة، ورجا منه أن لا يضيع إعجابه به وحبه له، وذكر له غرضه وهو أن يتدرب على يديه لاكتساب طريقته، ونص كلامه: «وقلت له: يا سيدي، لا يمضي اعتقادي فيكم مذ مدة طويلة وأنا بالمغرب الأقصى ضائعاً، والغرض كله التهذيب الموصل إلى ما يتعلق بأهداب طريقتكم فقد علمتم أن مهياراً من عجم الديلم لما شرب ماء دجلة والفرات، وصحب سيده الشريف الرضي نمت أسراره من خلال أشعاره..

قال: «فتبسم وقال: ما تنزلت أنت إلى أول طبقة مهيار، ولا ترفعت أنا إلى طبقة الشريف، لكن كل زمان له رؤساء وأتباع في كل فن، وإن تكونوا صغار قوم فستكونوا كبار قوم آخرين» ثم جرى حديث عن الفرق بين طريقة أهل المغرب والمشرق.

وبدأ يتردد عليه، وذكر أنه أمره بحفظ أشعار التلعفري والحاجري، وأنه قال له يوماً:

أجز: **يا بانَ وادي الأجرعِ**

فقال: **سُقيتَ سُحْبَ الأدمعِ**

فقال له البهاء زهير: قاربت ولكن طريقتنا أن تقول:

هل ملتَ من شوق معي

فقال المغربي: الحق ما عليه غطاء، هذا أولى.

وهذه صورة جميلة من صور التدريب الذي اتبعه البهاء زهير مع تلميذه إلى أن وصل إلى درجة رضيها له.

قال المغربي: ولازمته بعد ذلك نحو ثلاث سنين، أنشده في أثنائها ما يتزيد لي - أي ما يقوله من شعر جديد - إلى أن أنشدته قولي:

وا طول شوقي إلى ثغورٍ ملأى من الشهد والرحيقِ

عنها أخذتُ الذي تراه يعذبُ في شعريَ الرقيقِ

فارتاح وقال: سلكت جادّة الطريق، ما تحتاج [بعد] إلى دليل[1].

---

(١) انظر: الوافي بالوفيات (١٤/ ٢٣٢-٢٣٥)، وقد نقل الصفدي من خطه.

- ومن ذلك ما حكاه الشاعر العلامة عيسى بن حجاج السعدي الشطرنجي (ت:٨٠٧هـ) أنه رأى صلاح الدين الصفدي بدمشق وبين يديه حلقة يعلمهم كيفية النظم.

حكى هذا للحافظ ابن حجر العسقلاني، ولم يفت الحافظ أن يسجل هذه اللقطة في ترجمة الشطرنجي[١].

- وجاء في ترجمة الشيخ الأديب الشاعر بدر الدين البشتكي (ت:٨٣٠هـ) أنه أدب مجد الدين ابن فخر الدين ابن مكانس، وتعاشرا مدة حتى نبغ مجد الدين، ونظم ونثر، ولم يزل معترفاً بفضل البشتكي وأنه هو الذي أدّبه وخرّجه[٢].

ومجد الدين هذا صديق الحافظ ابن حجر وقد قال في ترجمته: «ولد سنة سبع وستين (٧٦٧) ونشأ في نعمة وعز في كنف أبيه، فتخرج وتأدَّبَ ومهر، وقال الشعر الفائق وهو صغير، ثم جاد شعره ونثره... وكان صديقي نحواً من ثلاثين سنة، وبيننا مطارحات أدبية»[٣] ومات سنة (٨٢٢هـ).

* * *

---

(١) انظر: ذيل الدرر الكامنة (ص١٦٢).

(٢) ذيل الدرر الكامنة (ص٣١٠).

(٣) ذيل الدرر الكامنة (ص٢٧٢).

مساندتهم في التأليف

ومن عناية العلماء بطلابهم مساندتهم في التأليف، وتدريبهم على ذلك، واقتراح موضوعات عليهم، ودلالتهم على المصادر، وإمدادهم بها، ومساعدتهم في تدقيق ما يكتبون، ويؤلفون:

- وهذا الإمام ابن السرّاج النحوي: محمد بن السري البغدادي المتوفى كهلاً سنة (٣١٦هـ) له كتاب الأصول في النحو، وُصف بأنه مصنف نفيس، وقد قرأه على شيخه المبرد.

ومما يذكر هنا مما يدل على أدب ابن السراج مع شيخه أنه لما قرأه على شيخه استحسنه بعض الحاضرين وقال: هذا والله أحسن من كتاب «المقتضب» للمبرد، فأنكر عليه ابنُ السرّاج وقال: لا تقل مثل هذا، وتمثل بقول القائل:

ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا   بكاها وكان الفضل للمتقدم[1]

- وقال الذهبي في ترجمة أبي بكر محمد بن عزيز السجستاني (ت في حدود: ٣٣٠هـ):

«مصنف (غريب القرآن) وهو كتاب نفيس قد أجاد فيه. قيل: إنه كان يقرأه على أبي بكر بن الأنباري ويصلح له فيه. ويقال: إنه صنفه في خمس

---

(١) الوافي بالوفيات (٣/ ٨٦-٨٧)، والبيت لعدي بن الرقاع.

عشرة سنة»[1]. وقال في موضع آخر: «ألف (الغريب) في عدة سنين وحرره، وراجع فيه أبا بكر بن الأنباري وغيره»[2].

- ويقول الشيخ عبد القادر بن محمد القرشي (ت:٧٧٥هـ) في مقدمة كتابه «الجواهر المضية في طبقات الحنفية»: «مذ طلبت العلم، ونفسي متشوقة إلى جمع كتابٍ أذكر فيه طبقات أصحابنا، فيمنعني من ذلك العجز عن الإحاطة ببعض هذا الجم الغفير، وتتبع الكتب المصنفة في ذلك.

فأول مَنْ حثني على ذلك قديماً شيخنا العلامة قطب الدين عبد الكريم وأمدني بتواريخ وتعاليق وفوائد عزيزة، من فوائد الإمام أبي العلاء البخاري، وانتفعت به نفعاً كثيراً في هذا الباب، مما جمعه وأرشدني إليه.

وكذلك شيخنا الإمام العلامة الحجة الأستاذ أبو الحسن السبكي، وأمدني بكتب وفوائد، كـ«تاريخ نيسابور» للحاكم، وغيره، وتلقيت أشياء حسنة من فيه.

وأعظمهم عليَّ منة في ذلك، وأكثرهم لي مدداً شيخنا العلامة الأوحد الأستاذ أبو الحسن علي المارديني، وكنت في كل وقتٍ أعرِض عليه ما وقع لي من التراجم، ويرشدني إلى أشياء حسنة.

---

(١) تاريخ الإسلام (٢٤/ ٣١٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢١٦).

ثـم خلفه في ذلك الخلف الصالح ولـده الإمام جمال الدين، قاضي قضاة الحنفية ومحدثها رحمه الله ورحم سلفه»[1].

- ويقـول الإمـام ابن فرحون المالكي المـدني (ت:٧٩٩هـ) في آخر كتابه «الديبـاج المذهـب في معرفـة أعيان علـماء المذهب» وهو يعـدد المصادر التي استقى منها كتابه هذا: «ومن فوائد شـيخنا الإمام الحافظ أبي السيادة عفيف الديـن: عبـد الله ابن شـيخنا الإمـام العلامة المرحـوم جمال الديـن محمد بن أحمد المطري»[2].

- وهـذا الحافـظ الزيـن العراقـي (ت:٨٠٦هـ) يدرب تلميـذه وصهره الهيثمي (ت:٨٠٧هـ):

قال السخاوي في ترجمته: «وتخرج به - بالعراقي - في الحديث، بل دربه في إفرادِ زوائدِ كتبٍ كالمعاجم الثلاثة للطبراني، والمسـانيد لأحمد والبزار وأبي يعلى، على الكتب الستة.

وابتدأ أولاً بزوائد أحمد فجاء في مجلدين.

وكل واحد من الخمسـة الباقية في تصنيف مستقل، إلا الطبراني الأوسط والصغـير فهـما في تصنيف، ثم جمع الجميع في كتابٍ واحد محذوفِ الأسـانيد سماه «مجمع الزوائد»...

(١) الجواهر المضية (١/ ٩-١٠).

(٢) الديباج المذهب (٢/ ٣٧٦).

وأعانـه بكتبه ثم بالمرور عليها، وتحريرهـا، وعمل خطبها، ونحو ذلك، وعـادت بركـة الزين عليـه في ذلك وفي غيره، كـما أنّ الزين اسـتروح بعدُ بما عمله، سيما المجمع...»[1].

- وكان الحافـظ ابـن حجـر العسـقلاني (ت:٨٥٢هـ) كثـير الاهتـمام بهـذا الجانـب، وطالما اقـترح موضوعـات على طلابـه، وأراد لهـم العمل فما وجـد إلا اسـتجابة قليلـة، وكان يفرح جـداً بمن يجد عنده الأهليـة والرغبة والتوجه والاهتمام.

قال تلميذه الحافظ السخاوي يشرح هذا الجانب من حياة شيخه:

«والعجـب أنـه أرشـدهم - أي طلابـه - لمطالعة الكتب السـتة، لأجل «المبهـمات»، عـلى طريقـة الاسـتقصاء، ثـم إذا انتهـت طالعـوا بقيـة الكتب المتداولـة وغيرهـا، وجعل لكل واحدٍ منهم منها كتاباً، فما نشـط منهم لذلك سوى صاحبنا القاضي قطب الدين الخيضري، فإنه طالع بعض كتاب «السنن الكبرى» للنسائي - فيما أظن -!.

وكـذا أعطى بعـض أصحابنا ربطتين له من كتـاب «الثقات» مما ليس في الستة، ليلحق الفائت، ويمر عليها، فما فعل!.

وطالما التمس ممن له مشـاركة في الفنون مـن جماعته أخذ كتابه «انتقاض الاعتراض» والمرور عليه، والإلحاق فيه لما ينبغي إلحاقه، وإن اختار أن ينسبه

(١) الضـوء اللامـع لأهـل القـرن التاسـع (٥/ ٢٠١-٢٠٢). وانظـر: الجواهـر والـدرر (١/ ٨٩).

لنفسه آثره بذلك، فما وجد مَنْ فيه قابليةٌ لذلك. نعم أخذه الشيخ جمال الدين عبد الله ابن شيخه المحب ابن هشام، وكان من جماعته، فمرَّ على كرَّاس منه، وتوفي صاحب الترجمة، فأخذ الكتاب منه.

وكذا حرص على الالتقاط من «شرحه على البخاري» لما يكون تعقباً على الكرماني والزركشي، وإفراد ذلك بالتصنيف، فما لبَّى أحدٌ منهم دعوته.

واتفق أنه فهم من بعض جماعته الاعتناء بما يصدر منه حالة التقرير في «ألفية الحديث» و«شرحها»، فأعطاه مجلداً من «تذكرته» وقال: استخلص من هذا ما يكون من غرضك. فتمادى فيه، بحيث لم يكتب إلا اليسير، ووقف عليه صاحب الترجمة، فكتب عليه، لكنه صرح لبعض الأفاضل والثقات من جماعته بعدم ارتضائه...[1].

وأعطاني ما عمله من «أطراف الأجزاء» وهو في عدة ربطات، وعيَّن لي أسماء الأجزاء التي طالعها بخطه، وأمرني بمطالعة غيرها، ودفع لي منها جانباً، ففعلت اليسير، ثم تركت.

وقلت له مرة: أحب أن آخذ «تاريخ الإسلام» للذهبي، فأفرد منه مَنْ ليس في «التهذيب» و«اللسان». فوالله رأيته فرح بذلك، وقال: وكذا احذف منه الوزراء ونحوهم ممن لا رواية له، وأكمل ذلك سريعاً حتى أتحفك

(١) من الواضح أن الحافظ ابن حجر – رحمه الله – كتب لطالبه من باب التشجيع، وإن كان في قرارة نفسه غير راض عن عمله تماماً.

بتتـمات فيـه، ويكون كتاباً حافلاً. فعاق المقدور عـن ذلك، ولو رأى الكتاب الذي جمعته بعده لقرَّ عيناً.

وأعطى سبطه ما عمله في «طبقات الحفاظ» للذهبي، ليبني عليه.

وسـمعته يسـأل صاحبنا النجم بن فهد سـنة خمسـين (٨٥٠) في الإقامة بالقاهرة، ليرتبه في شيء يعمله، فما وافق على ذلك»[١].

إن هـذه الأخبـار تدل عـلى توقد علمي كبـير لدى ابن حجـر، ولو كان لإرشاداته واقتراحاته صفة الإلزام لكان لدينا ثروة علمية من تخطيطه ورسمه، وأكاد أتخيل حزنه على عدم استجابة مَنْ حوله لما يريده للعلم وهم.

ولرغبتـه الشـديدة في إثـارة الهمم، ولحبـه الخير لأصحابـه وطلابه كان يكتـب لهم كلـمات الثناء تشـجيعاً لهم ولملكاتهـم، ومن هذا ما كتبـه لتلميذه السـخاوي عـلى أول شيء خرّجـه في ابتداء الطلب - وقـد كان له حين توفي شيخه اثنتان وعشرون سنة -:

«وقفـت عـلى هذا التخريج الفائق، وعرفت مـنَّ الله على عباده بأَنْ ألحق الأخـير بالسـابق. ولولا ما أفرط فيه من الإطراء فيّ لمـا عاقني عن الثناء عليه عائـق، والله المسـؤول أن يعينـه عـلى الوصـول إلى الحصول، حتـى يتعجب السابق من اللاحق»[٢].

---

(١) الجواهر والدرر (٢/ ٦٩٧-٦٩٨).

(٢) الجواهر والدرر (٢/ ٧٤٢-٧٤٣)، وكتب له على غيره من تصانيفه غير ذلك كما قال.

- وقـال العلامـة عبد الرحمن بن عـلي الديبع (ت:٩٤٤هـ) عن شـيخه الإمام بقية أهل اليمن أحمد بن أحمد الشرجي - وقد ذكر ما قرأه عليه من كتب السنة ومن مؤلفاته -: «وبه تخرجت وانتفعت، وألفت في حياته كتابي المسمى بـ «غايـة المطلوب وأعظم المنة فيما يغفر الله به الذنوب ويوجب الجنة»، وهو الذي تعلمت منه صنعة التأليف والتصنيف، والترصيف والتصفيف»[١].

- وقـال الزركلي في مقدمة «الأعـلام»: «رأيت أن أتعجل فأُنَوِّه بمؤازرة أعلام من فضلاء المعاصرين، كان أسبقهم زمناً الأستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق: رجعت إليه أيام اشتغالي بجمع مادة الكتاب ناشـئاً، فأخذ بيدي يرشـدني إلى صحـاح المصادر، وفتح لي خزانـة كتبه آخذ عنها ومنها ما أنا في حاجة إليه»[٢].

- وممـا يدخـل في هـذا المعلـم تحذيرهـم مـن العجلـة التي قد تقـود إلى ما لا يحمد:

قال الإمام الفقيه ابن الإمام الفقيه محمد بن سحنون (ت:٢٥٦هـ):

«دخـل عـليَّ أبي وأنا أؤلف كتاب «تحريـم النبيذ» فقال: يـا بني إنك ترد على أهل العراق، ولهم لطافة أذهان، وألسـنة حداد، فإياك أن يسبقك قلمك لما يعتذر منه»[٣].

---

(١) بغية المستفيد (ص٢٢٩-٢٣٠)، والنور السافر (ص٢٨٨).

(٢) الأعلام (١/ ١٧).

(٣) الديباج المذهب (٢/ ١٧٢).

- وقـد نقع على مـا يخالف هذا المنهـج الأبوي التربـوي، في الحض على التأليف والمساعدة فيه، ولكنه نادر والحمد لله:

جاء في ترجمة العلامة سليم البخاري (ت:١٣٤٧هـ):

«وقـد فترت همته بعدما ألّف رسـالة وهو في سـن الطلـب، فأطلع أحد مشـايخه عليها فهزئ به وبعمله، فغضب المترجـم، وأحرق ما كتب، ولم يعد إلى الكتابة إلا ما ندر»[1].

وقد كان عالماً متفنناً واسع الأفق، ولكن هذا الموقف السلبي حرم الناس من تدوين علمه!.

* * *

---

(١) تاريـخ علـماء دمشـق في القرن الرابـع عشر الهجـري (١/ ٤٣٤)، وانظر: فكـر ومباحث للأستاذ علي الطنطاوي (ص١٤٤) وفيه أن شيخه هو الذي أحرق الرسالة!.

تشجيعهم وتقديرهم بالنقل عنهم

ومن العناية بهم بث الثقة في نفوسهم وتشجيعهم وتقديرهم بسؤالهم والنقل عنهم، وإسناد بعض الكتب إليهم ليراجعوها ويحرروها ويبدوا رأيهم في مباحثها ونقولها - إذا كانوا أهلاً لذلك حقاً، ولم يدفعهم هذا إلى الغرور والتعالي -:

- ويُذكر في هذا ما قاله الحميدي تلميذ الإمام الشافعي:

صحبت الشافعي إلى البصرة، فكان يستفيد مني الحديث، وأستفيد منه المسائل[1].

- وقال القفطي في ترجمة الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب (٢٠٠-٢٩١هـ):

«كان ثقة حجة صالحاً ديِّناً مشهوراً بالحفظ، وصدقِ اللهجة، والمعرفة بالغريب ورواية الشعر القديم، مقدَّماً عند الشيوخ مذ هو حَدَثٌ. ويقال: إن أبا عبد الله الأعرابي كان يشك في الشيء فيقول: ما عندك يا أبا العباس في هذا؟ ثقة بغزارة حفظه»[2].

- وقال الخطيب البغدادي في تاريخه: «كنت أذاكر أبا بكر البرقاني بالأحاديث فيكتبها عني ويضمنها جموعه، وحدَّث عني وأنا أسمع وفي غيبتي»[3].

---

(١) حلية الأولياء (٩/ ٩٦).

(٢) إنباه الرواة (١/ ١٧٤).

(٣) تاريخ الإسلام (٣١/ ٩٠)، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٦٧) و(١٨/ ٢٧٥).

- وقال أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي اللغوي: «لما دخلت دمشق في سنة ست وخمسين (٤٥٦هـ) كان بها إذ ذاك الإمام أبو بكر الحافظ (الخطيب البغدادي)، وكانت له حلقة كبيرة يجتمعون في بكرة كل يوم فيقرأ لهم، وكنت أقرأ عليه الكتب الأدبية المسموعة له، فكان إذا مرَّ في كتابه شيء يحتاج إلى إصلاح يصلحه، ويقول: أنت تريد مني الرواية، وأنا أريد منك الدراية»[(١)].

- ونقل إمام الحرمين الجويني في الوصية من «نهاية المطلب في دراية المذهب» عن تلميذه أبي نصر بن أبي القاسم القشيري شيئاً فقال تاج الدين السبكي: «إنه أعظم ما عظم به أبو نصر، وهو فخار لا يعدله شيء»[(٢)].

- وكان الإمام ابن الرفعة (ت: ٧١٠هـ) يعامل تلميذه تقي الدين السبكي معاملة الأقران، ويبالغ في تعظيمه، ويعرض عليه ما يصنفه في (المطلب)[(٣)].

- ونقل الجمال الإسنوي في «المهمات» عن الزين العراقي شيئاً، مع كونه تلميذه[(٤)].

---

(١) معجم الأدباء (١/ ٣٩٢).

(٢) انظر: نهاية المطلب (١١/ ٢٠١)، والجواهر والدرر (١/ ١٨٠)، والنص في طبقات الشافعية الكبرى (٧/ ١٦٢): «وأعظم ما عظم به أبو نصر أن إمام الحرمين نقل عنه في كتاب الوصية من (النهاية)، وهذه مرتبة رفيعة».

(٣) قال هذا ولده تاج الدين في طبقات الشافعية الكبرى (١٠/ ١٩٥).

(٤) الجواهر والدرر (١/ ١٨١).

- ووقع هذا للحافظ ابن حجر العسقلاني كثيراً:

قال تلميذه السخاوي في كلامه على سفر الحافظ إلى حلب سنة (٨٣٦هـ): «وحصّل فوائد ونوادر علقها في «تذكرته» التي سماها «جلب حلب» وهي في نحو أربعة أجزاء حديثية، ما هي عندي.

وبالغ حتى كتب عن تلميذه البقاعي وفاةَ التقي الحصني الفقيه الشافعي، لكنه لأجل بيان غلطه[١]، فإنه قال ما نصه: «ذكر لي رفيقنا - يعني في السفر - برهان الدين إبراهيم بن حسن البقاعي أن الشيخ تقي الدين الحصني الفقيه الشافعي الأشعري مات بدمشق سنة ثمان وعشرين (٨٢٨هـ)، وكان عالماً زاهداً، كثير النفع للطلبة، والحط على الحنابلة، خصوصاً مَنْ ينتحل مقالة الشيخ تقي الدين ابن تيمية. انتهى.

وتعقبه بقوله: ثم تحرر لي أنه مات سنة تسع وعشرين. قلت: وتنبه المذكور - وهو منسوب لجده[٢] - لذلك، فإنني قرأت بخطه أنه مات في ليلة الأربعاء منتصف جمادى الآخرة سنة تسع، والله الموفق[٣].

---

(١) كان بين السخاوي والبقاعي ما يكون بين الأقران، وهذا التعليل هنا من ذاك الاعتلال.

(٢) أي لسعادته حيث انتبه للخطأ، وهناك تفسير آخر لذلك وهو أن البقاعي كتب تاريخ وفاة الحصني على الصواب، وسها في النقل فنقصَ سنة.

(٣) ونقل ابن حجر عن تلميذه البقاعي في إنباء الغمر بأبناء العمر (٨/ ٢٠٠) وقال عنه «صاحبنا العلامة» فانظره. ومثله لا يخفى على السخاوي رحمهما الله تعالى.

وكتب [أي الحافظ ابن حجر] عن صاحبي محدِّث حلب الآن أبي ذر ابن شيخ الإسلام البرهان إبراهيم سبط ابن العجمي فيمن اسمه إلياس، بعد أن قال ما نصه: وكان قد ولع بنظم المواليا:

لك طرف أحور حوى رقي غنج نعاس

وقد قد القنا أهيف نضر ميـاس

ريقتك ماء الحيا يا عاطر الأنفاس

عذارك الخضر يا زيني وأنت إلياس

وأعلى من هذا كله: قوله في ترجمة «رتن» من كتابه «الإصابة»[1]: وجدت بخط عمر بن محمد الهاشمي. وذكر شيئاً. فإن عمر هذا هو صاحبنا محدِّث مكة نجم الدين بن فهد، دام النفع به»[2].

- وجاء في ترجمة أحد طلاب ابن حجر: الحافظ محمد بن محمد المعروف بابن الغرابيلي (٧٩٦-٨٣٥هـ):

أنه «رحل إلى القاهرة فصحب بها الحافظ أبا الفضل ابن حجر، وحرر (تحرير المشتبه) له...»[3].

---

(١) الإصابة (٢/ ٤٤٢).

(٢) الجواهر (١/ ١٧٧-١٧٨) وفيه مزيد فانظره.

(٣) لحظ الألحاظ (ص٢٩٩).

- وجاء في ترجمة الشريف الفاضل العالم العامل محمد بن علوي (ت:٩٢٤هـ):

«وكان شيخه الشيخ القطب عبد الرحمن بن علي يثني عليه ويقول: استفدت منه حال قراءته علي أشياء»[١].

- وقال الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ) في ترجمة تلميذه البارع علي بن عبد البر الحسني الونائي (١١٧٠-١٢١٢هـ): «وناولته شرحي على (الإحياء)، وأمرته بمطالعته من أوله، فنظر فيه بالإمعان، ونبه على مواضع منه، فأصلحته فيما يحتاج إليه، وهكذا إلى قريب الآخر، ونسخ من مؤلفاتي عدة رسائل، منها رسالة في الكلام على الصلاة الوسطى، وكانت مسودة فبيضها، ونبه على مواضع منها»[٢].

* * *

(١) النور السافر (ص١٧١).

(٢) المعجم المختص (ص٥٤٩).

أجواءِ الظهيرة

- النظر إليهم بتقدير وستر عيوبهم.

- الدعاء لهم وتحصينهم.

- تقوية صلتهم بالله.

- حثهم على الالتزام الدقيق بالصدق.

- توجيه الوصايا الرائعة لهم.



النظر إليهم بتقدير وستر عيوبهم

كان من عناية العلماء بطلاب العلم النظر إليهم بعين الحب والتقدير، وستر عيوبهم.

- ومن أجمل ما يجسد هذا المعلم ما جاء في ترجمة الإمام الكبير القاضي عبد السلام بن سعيد التنوخي المعروف بلقبه «سحنون» (١٦٠-٢٤٠هـ):

قال ابن فرحون: «وتخاصم إليه رجلان صالحان من أصحابه ممن نظر في العلم، فأقامهما وأبى أن يسمع منهما، وقال: استرا عني ما ستر الله عليكما»[١].

وقد ذكر العلماء من آداب المعلم مع طلبته أن يوقرهم ويعظمهم، ويحسن خلقه معهم ويتلطف بهم، ويرحب بهم إذا لقيهم وعند إقبالهم عليه[٢]. وهذا متوقف على ستر العيوب والتغافل وعدم البحث عنها.

وهذه الأخلاق مستقاة من مشكاة السنة النبوية المطهرة، فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً فإني أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر...»[٣].

* * *

---

(١) الديباج المذهب (٢/ ٣٦).

(٢) انظر: الدر النضيد (ص١١١).

(٣) رواه أبو داود في السنن (٥/ ٢٩٨) برقم (٤٨٢٧)، والترمذي في الجامع (٦/ ١٨٩) برقم (٣٨٩٧) - واللفظ له - وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه...».

الدعاء لهم وتحصينهم

ومن عنايتهم بطلابهم الدعاء لهم:

- قال الإمام إسحاق بن راهويه (ت:٢٣٨هـ): «قلَّ ليلة إلا وأنا أدعو لمن كتب عنا، ولمن كتبنا عنه»[١].

- وقال الإمام النووي في كتابه «الأذكار» في «باب ما يقوله إذا رأى من نفسه أو ولده أو ماله أو غير ذلك شيئاً فأحبه، وخاف أن يصيبه بعينه، وأن يتضرر بذلك»:

«وذكر الإمام أبو محمد القاضي حسين [ت:٤٦٢هـ] من أصحابنا رحمهم الله في كتابه «التعليق في المذهب» قال: نظر بعض الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلى قومه يوماً فاستكثرهم وأعجبوه، فمات منهم في ساعة سبعون ألفاً، فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه: إنك عِنْتَهم، ولو أنك إذ عنتهم حصنتهم لم يهلكوا. قال: وبأي شيء أحصنهم؟ فأوحى الله تعالى إليه: تقول: حصنتكم بالحي القيوم الذي لا يموت أبداً، ودفعت عنكم السوء بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال المُعَلِّق عن القاضي حسين: وكان عادة القاضي - رحمه الله - إذا نظر إلى أصحابه فأعجبه سمتُهم وحسنُ حالهم حصنهم بهذا المذكور»[٢].

---

(١) المدخل إلى السنن الكبرى (ص٣٧٧).
(٢) الأذكار (مع شرحه الفتوحات الربانية) (٦/ ٢٦٩-٢٧١).

وقال الشارح الإمام ابن علان: «أخرج [ابن حجر] في أماليه، في باب ما يقول بعد الصلاة، عن صهيب - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ يحرك شفتيه بشيء أيام =

- ومن هذا دعاء السِلفي (ت:٥٧٦هـ) لتلميذه الحافظ المرسي: محمد بن عبد الرحمن التجيبي نزيل تلمسان (نحو:٥٤٠-٦١٠هـ) وجاء في ترجمته أنه سمع من نحو (١٣٠) شيخاً منهم السِلفي، وطوّل الغيبة. وعند قفوله إلى بلده دعا له السِلفي بطول العمر وقال: تكون محدِّثَ المغرب إن شاء الله.

وحدّث بـ«سبتة» في حياة شيوخه. ثم سكن تلمسان ورحل الناس إليه وألَّف:

أربعين حديثاً في المواعظ.

وأربعين حديثاً في الفقر وفضله.

وأربعين في الحب في الله تعالى.

وأربعين في الصلاة على النبي ﷺ. وتصانيف أخر.

= حُنين إذا صلى الغداة. فقلنا: يا رسول الله لا تزال تحرِّك شفتيك بعد صلاة الغداة ولم تكن تفعله؟ فقال: إن نبياً كان قبلي أعجبته كثرة أمته فقال: لا يروم هؤلاء - أحسبه قال: شيء -. فأوحى الله إليه: أن خيِّرْ أمتك بين ثلاث: إما أن أسلط عليهم الجوع، أو العدو، أو الموت. فعرض عليهم ذلك فقالوا: أما الجوع فلا طاقة لنا به، ولا العدو، ولكن الموت. فمات منهم في ثلاثة أيام تسعون ألفاً. فأنا اليوم أقول: اللهم بك أحاول، وبك أقاتل، وبك أصاول.
قال الحافظ: حديث صحيح أخرجه أحمد [المسند ٣١/ ٢٦٢ برقم١٨٩٣٣]، وأخرج النسائي طرفاً منه [هو في السنن الكبرى ٨/ ٣٠ برقم ٨٥٧٩ و٩/ ٢٢٧ برقم ١٠٣٧٥]، وأخرج الترمذي نحو القصة بسنده على شرط مسلم [٣٣٤٠] اهـ.
ولعل القاضي حسيناً أشار إلى هذه القصة، ويحتمل أنه أراد غيرها لقوله: فمات في ساعة واحدة سبعون ألفاً. والله أعلم».
وقد نقل المناوي قول القاضي حسين في فيض القدير (١/ ٣٥٢) باختصار، ولم أجده عند غيره.

ومعجم شيوخه في مجلد كبير[1].

وهذا يشير إلى استجابة الدعاء وتحقق فراسة شيخه فيه.

- ومن هذا دعاء العلامة الصالح العارف بالله تعالى شرف الدين أبي المعروف إسماعيل بن محمد بن مبارز الشافعي لابن بنته عبد الرحمن بن علي الديبع الشيباني العبدري الشافعي الذي أصبح إماماً كبيراً، ووصف بأوصاف عالية منها «أمير المؤمنين في الحديث».

قال في ترجمته لنفسه في آخر كتابه بغية المستفيد بأخبار زبيد: «كان مولدي بمدينة زبيد المحروسة في آخر يوم الخميس الرابع من المحرم أول سنة ست وستين وثمانمئة بمنزل والدي منها، وغاب والدي عن مدينة زبيد في آخر السنة التي ولدت فيها ولم تره عيني قط، ونشأت في حجر جدي لأمي العارف بالله العلامة الصالح شرف الدين أبي المعروف إسماعيل بن محمد بن مبارز الشافعي رحمه الله، وانتفعت بدعائه لي في أوقات الاستجابة وغيرها، وهو الذي حَدَبَ عليَّ ورباني، وأطعمني وسقاني، وكساني وواساني، وعلمني وأوصاني. جزاه الله عني بالإحسان، وقابله بالرحمة والرضوان»[2].

وقال بعد أن ذكر عدة مشايخ له: «وانتفعت بدعاء كل واحد من مشايخي المذكورين ومحبتهم لي، رحم الله جميعهم، وشكر سعيهم»[3].

* * *

(١) انظر: التكملة (٢/ ١٠٢)، والوافي بالوفيات (٣/ ٢٣٤).
(٢) بغية المستفيد بأخبار زبيد (ص٢٢٧)، والنور السافر (ص٢٨٦).
(٣) بغية المستفيد (ص٢٣٠)، والنور السافر (ص٢٨٩).

تقوية صلتهم بالله

ومـن عنايتهم بالطلاب تربيتهـم ومتابعة سـلوكهم، وربط صلتهم بالله وتقويتها، ولهم في ذلك طرق، منها:

* حضهـم عـلى قيـام الليـل، كـما جـاء عـن الإمـام أحمـد بـن حنبـل (ت:٢٤١هـ):

- قـال ابـن أبي يعـلى في ترجمـة عبد الصمد بن أبي سـليمان بـن أبي مطر: «روى عن إمامنا أشياء» ثم روى عنه قوله: «بت عند أحمد بن حنبل، فوضع لي صاخـرة[١] ماء، فلما أصبحت وجدني لم أسـتعمله، فقال: صاحب حديث لا يكون له ورد بالليل! قلت: مسـافر. قال: وإن كنت مسافراً، حج مسروق فما نام إلا ساجداً»[٢].

- وجـاء عـن عاصم بن عصـام البيهقي (ت:٢٦١هـ) قولـه: «بت ليلة عنـد أحمد بن حنبل، فجاء بالماء فوضعه، فلما أصبح نظر إليَّ فإذا هو كما كان، فقال: سبحان الله، رجل يطلب العلم لا يكون له وردٌ بالليل!»[٣].

فهذان خبران عن شخصين، مما يدل على حرص الإمام أحمد على إشاعة القيام بالليل لدى طلاب العلم.

---

(١) الصاخرة: إناء من خزف. لسان العرب (٤/ ٤٤٥).

(٢) طبقات الحنابلة (١/ ٢١٧).

(٣) تاريخ الإسلام (٢٠/ ١١٤)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٢٩٨).

❋ ومن طرقهم طلب الدعاء منهم، وهذا يجعل الطالب يخجل من نفسه ومن إتيان المعصية.

كان الشيخ الصالح الفقيه الشافعي الشيخ عيسى بن طلحة الكردي الدمشقي (ت:١٣٣١هـ) يقول لطلابه: لكل شيخ عادة، وعادتي أسأل الدعاء منكم[١].

وكان يحب العلم والعلماء وطلبة العلم ويقدرهم حق قدرهم ويقدمهم ويقول: إنَّ العوام مهما بلغوا لا يصلون إلى درجة العلماء[٢].

إن تقوية الصلة بالله من أهم المهمات التي يجب أن يوليها العلماء عنايتهم، فبدونها ينفصل العلم عن العمل، ويخرج الطلبة ضعافاً يهزهم أدنى ريح، ويزيحهم عن مواقعهم أي مطمع.

وينبغي أن يهتم بهذا الموضوع، وأن يفرد بالتأليف، ويبسط القول فيه، وتستخرج طرق العلماء وأساليبهم في ذلك مع شواهدها ومشاهدها.

❋ ❋ ❋

(١) الإمام الرباني شيخ الذاكرين والعابدين الشيخ عيسى الكردي للشيخ محمد مطيع الحافظ (ص٥).

(٢) المصدر السابق (ص٧).

حثهم على الالتزام الدقيق بالصدق

- ومن عنايتهم بطلاب العلم حثهم إياهم على التزام الصدق، وعدم التهاون في الكلام، والانتباه فيه حتى في أمور قد تبدو يسيرة:

- قال أبو الحسن بن الصلت: «كنا نمضي مع ابن قاج الوَرَّاق إلى ابن المنادي لنسمع منه، فإذا وقفنا ببابه خرجتْ إلينا جارية له وقالت: كم أنتم؟ فنخبرها بعددنا، ويؤذن لنا في الدخول ويحدثنا، فحضر معنا مرةً إنسانٌ علويٌّ وغلام له، فلما استأذنا قالت الجارية: كم أنتم؟ فقلنا: نحن ثلاثة عشر، وما كنا حسبنا العلوي ولا غلامه في العدد. فدخلنا عليه، فلما رآنا خمسة عشر نفساً قال لنا: انصرفوا اليوم فلست أحدثكم. فانصرفنا وظننا أنه عرض له شغل. ثم عدنا إليه مجلساً ثانياً فصرفنا ولم يحدثنا، فسألناه بعد عن السبب الذي أوجب ترك التحديث لنا، فقال: كنتم تذكرون عددكم في كل مرة للجارية وتصدقون، ثم كذبتم في المرة الأخرى، ومَنْ كذب في هذا المقدار لم يؤمن أن يكذب فيما هو أكبر منه.

قال: فاعتذرنا إليه وقلنا: نحن نتحفظ فيما بعد. فحدثنا»[1].

وابن المنادي هذا هو أبو الحسين: أحمد بن جعفر البغدادي قال عنه الخطيب: «كان ثقة، أميناً، ثبتاً، صدوقاً، ورعاً، حجة فيما يرويه، محصِّلاً لما

---

(١) تاريخ مدينة السلام (٥/ ١١١) وابن قاج الوراق هو أحمد بن عبد الله من المحدثين الثقات (ت:٣٥٣).

يمليه، صنف كتباً كثيرة، وجمع علوماً جمة، ولم يسمع الناس من مصنفاته إلا أقلها، وروى عنه المتقدمون، وتوفي سنة (٣٣٦هـ) »[١].

- وقد أوصى القاضي أبو عبد الله محمد بن يحيى بن بكر الأشعري (الشهيد في معركة طريف سنة ٧٤١هـ) طلبته عدة وصايا، ومنها قوله لهم: «ولا يكن همكم بكَتْب الشيوخ لكم على ما قرأتم، وليكن همكم أن تكونوا من الديانة والدراية بمثابة مَنْ يقبل قوله فيما يدعيه، ولا يُكذَّبُ فيه»[٢] فإذا عُرِفَ المرءُ بالصدق صُدّق فيما يقول ولم يحتج إلى دليل.

إن الصدق من أجمل الخلال التي يتحلى بها الإنسان، والكذب من شرِّها وأبشعها وأمقتها، وإذا كان الكذب قبيحاً فهو من المنتسب إلى العلم أشد قبحاً، وقد حذر العلماء منه تحذيراً شديداً، يقول الإمام الزهري: «إن للعلم غوائل:

فمن غوائله أن يترك العالم حتى يذهب بعلمه.

ومن غوائله النسيان.

ومن غوائله الكذب فيه وهو شر غوائله»[٣].

* * *

(١) تاريخ مدينة السلام (٥/ ١١٠-١١١ و١١٢).

(٢) تاريخ قضاة الأندلس «المرقبة العليا» (ص١٤٦).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٤٢)، وانظر ما جاء فيه كذلك عن عبد الله بن المختار (١/ ٤٤٦) والنسابة البكري (١/ ٤٤٩-٤٥٠).

توجيه الوصايا الرائعة لهم

ومن العناية توجيه العلماء أبلغ الوصايا وأجملها، وأفضل النصائح وأجمعها لهم، لتكون نبراساً في حياتهم، وزاداً يتزودون به في مسيرتهم العلمية والعملية:

- ومن ذلك ما وصى به الإمام أبو حنيفة تلميذه أبا يوسف، وهي وصية جامعة تناول فيها الإمام علاقته بالسلطان، وعلاقته بالعامة، وآداب الخروج إلى الأسواق، والطرقات، وآداب اللباس، وآدابه مع زوجه وزواجه، وآداب الفتيا، والغربة، وحسن العلاقة مع الله تعالى، وآداب المناظرة والكلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحذير من الأخلاق الردية، وغير ذلك مما نثره من محاسن الآداب ومكارم الأخلاق، مما يحتاج إليه كل عالم[١]. وقد اهتم العلماء بهذه الوصية وشرحوها.

- وقال الحارث بن أسد - من أهل قفصة -: «لما أردنا وداع مالك [بن أنس] دخلت عليه أنا وابن القاسم، وابن وهب، فقال له ابن وهب: أوصني، فقال له: اتق الله وانظر عمن تنقل. وقال لابن القاسم: اتق الله وانشر ما سمعت. وقال لي: اتق الله وعليك بتلاوة القرآن».

وفهم الحارث من هذا أنه لم يره أهلاً للعلم، فكان يستفتى فلا يفتي ويقول: لم يرني مالك أهلاً للعلم[٢].

---

(١) انظر: نص الوصية في آخر «الأشباه والنظائر» لابن نجيم (ص٤٢٨-٤٣٤).
(٢) الديباج المذهب (١/ ٣٣٨).

وعن ابن القاسم [ت:١٩١هـ] قال: «كنا إذا ودعنا مالكاً يقول لنا: اتقوا الله، وانشروا هذا العلم وعلموه ولا تكتموه»(١).

- وقال خالد بن خداش البغدادي (ت:٢٢٣هـ) - وهو ثقة -: «ودَّعتُ مالك بن أنس، فقلت: يا أبا عبد الله أوصني. فقال: عليك بتقوى الله في السر والعلانية، والنصح لكل مسلم، وكتابة العلم من عند أهله»(٢).

- وقال يحيى بن يحيى الليثي (ت:٢٣٤هـ): «لما ودعت مالكاً سألته أن يوصيني، فقال: عليك بالنصيحة لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم. وقال لي الليث [بن سعد] مثل ذلك»(٣).

- ومن هذه الوصايا وصية الإمام وهب بن مسرة:

جاء في ترجمة الإمام الزاهد المعمر محمد بن عبد الله بن مُفوَّز المعافري الشاطبي (ت:٤١٠هـ وقد قارب المئة):

«رحل إلى قرطبة، فلازم وهب بن مسرة، وسمع منه سماعاً كثيراً، من ذلك: (الموطأ)، و(مسند ابن أبي شيبة)، و(المدونة)، وأجاز له (موطأ) ابن وهب.

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٩٢).
(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٤٤ و ٣٢٢) وانقلب اسم الإمام في الموضع الأول فأصبح: أنس بن مالك!
(٣) الديباج المذهب (٢/ ٣٥٣).

ولما ودعه قال له: أوصني، قال: أوصيك بتقوى الله، وحزبك من القرآن، وبر الوالدين.

ثم حج وكتب بالقيروان وغيره.

ورجـع، فكان منقطع القرين في الزهد والعبـادة، متقللاً من الدنيا، كثير الصلاة والصوم، دؤوباً على التلاوة والذكر...»[1].

- منها وصية الإمام الذهبي (ت:٧٤٨هـ) لتلميذه محمد بن رافع السلامي (ت:٧٧٦هــ)، التي أكد فيها ضرورة العمل بالعلم، بإقامة الصلاة، والحذر من المعاصي، والتزام الصدق والأمانة في الطلب، واللجوء إلى الله تعالى[2].

- ومـن ذلك وصيتهـم في الإجازة التي تمنح لهم حـين تخرجهم، وأورد هنـا مثـالاً عـلى ذلك ما جـاء في إجازة العلامة المفنن السـيد داود بن سـلمان التكريتي (ت:١٣٦٠هـ) لتلميذه العلامة الأستاذ الشيخ عبد الكريم الدبان (ت:١٤١٣هـ): «فعاهدته على التوبة الخالصة، وعلى دوام ذكره تعالى بظاهره وباطنه، وسرِّه وعلنه، وعلى القيام بقواعد الإسلام الخمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسـول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحـج البيت إن اسـتطاع إليه سـبيلاً، وأن يبالغ بالقيام بحقوق المسـلمين لا سـيما جاره وقريبه، وأن يكون من الأخـلاق الكريمة في المحل الأعلى، ومن

---

(١) المستملح من كتاب التكملة لابن الأبار، للذهبي (ص١٩).

(٢) وصية الإمام الذهبي لمحمد بن رافع السلامي، حققها وعلق عليها د. جمال عزُّون.

الأفعال الحميدة بالمكان الأسنى، في إطعام الطعام، وصلة الأرحام، وإفشاء السلام، وأن لا يراه مولاه حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره، وأن لا يخلو من تدريس علوم الدين من التفسير والحديث، وكتب مذاهب الأئمة المجتهدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين»[1]. فانظر إلى هذه الوصية وقارنها بشهادات الجامعات اليوم التي بتت الصلة بالله، وكاد بعضها يكون شهادة زور!.

* * *

(١) من نص الإجازة المحفوظ في مكتبة الشيخ الدبان - رحمه الله تعالى -، ولدي صورة عنها.

- تزويجهم بناتهم، أو قريباتهم.

- حفظهم في ذريتهم.

- صلة في النوم.

- عناية في اليوم الآخر.



تزويجهم بناتهم أو قريباتهم

كان من عناية العلماء بطلابهم النابغين الصالحين تقريبهم وتزويجهم بناتهم، أو قريباتهم، والواقع أن الأمثلة في ذلك كثيرة:

- فقد تزوج الإمام سعيد بن المسيب (ت:٩١هـ) بنت الصحابي الجليل الحافظ أبي هريرة: قال ابن خلكان في ترجمته: «وأكثر روايته المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه وكان زوج ابنته»[١].

- وزوج سعيد بن المسيب بنته لتلميذه ابن أبي وداعة، والخبر يورده ابن خلكان فيقول: «قال أبو وداعة: كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياماً، فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلي فاشتغلت بها، فقال: هلا أخبرتنا فشهدناها؟ قال: ثم أردتُ أن أقوم فقال: هلا أحدثتَ امرأة غيرها؟ فقلت: يرحمك الله ومَنْ يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ فقال: إن أنا فعلتُ تفعل؟ قلت: نعم، ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي ﷺ وزوجني على درهمين أو قال على ثلاثة، قال: فقمتُ وما أدري ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلي، وجعلت أتفكر ممن آخذ وأستدين، وصليت المغرب، وكنت صائماً، فقدمت عشاي لأفطر، وكان خبزاً وزيتاً، وإذا بالباب يقرع، فقلت: مَنْ هذا؟ قال: سعيد، ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، فإنه لم ير منذ أربعين سنة إلا ما بين بيته والمسجد، فقمت وخرجت، وإذا بسعيد بن المسيب، فظننت أنه قد بدا له، فقلت: يا أبا محمد، هلا أرسلت إلي فآتيك؟ قال: لا، أنت أحق أن تُؤتى، قلت: فما تأمرني؟ قال: رأيتُك رجلاً

---

(١) وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٥).

عَزَباً قد تزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك، فإذا هي قائمة خلفه في طوله، ثم دفعها في الباب وردَّ الباب، فسقطت المرأةُ من الحياء، فاستوثقتُ من الباب، ثم صعدتُ إلى السطح، فناديت الجيران، فجاءوني وقالوا: ما شأنك؟ فقلت: زوجني سعيد بن المسيب اليوم ابنته، وقد جاء بها على غفلة، وها هي في الدار، فنزلوا إليها، وبلغ أمي فجاءتْ وقالت: وجهي من وجهك حرامٌ إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام، فأقمت ثلاثاً ثم دخلتُ بها، فإذا هي من أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج؛ قال: فمكث شهراً لا يأتيني ولا آتيه، ثم أتيته بعد شهر وهو في حلقته، فسلمت عليه، فرد علي ولم يكلمني حتى انفضَّ مَنْ في المسجد، فلما لم يبق غيري، قال: ما حال ذلك الإنسان؟ قلت: هو على ما يحب الصديق ويكره العدو، قال: إن رابك شيء فالعصا، فانصرفتُ إلى منزلي.

وكانت بنت سعيد المذكورة خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد، فأبى سعيد أن يزوجه، فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه في يوم بارد وصبَّ عليه الماء!»[١].

- وجاء في ترجمة العالم الفقيه أبي جعفر أحمد بن محمد بن رزق الأموي القرطبي (ت:٤٧٧هـ) أنه كان صهر ابن عتاب على ابنته[٢].

---

(١) وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٦-٣٧٧)، وانظر: النبلاء (٤/ ٢٣٣) وما كتبه الرافعي في وحي القلم (١/ ١١٣) والطنطاوي في رجال من التاريخ (ص١٠٣) عن هذا الخبر.

(٢) الديباج المذهب (١/ ٨٣).

- وزوج الإمـام عـلاء الدين السـمرقندي بنته للكاسـاني (ت:٥٨٧هـ بحلـب): قـال ابن عابدين عن كتابه (بدائع الصنائـع): «هذا الكتاب جليل الشأن لم أر له نظيراً في كتبنا، وهو للإمام أبي بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني شَرَحَ بـه (تحفة الفقهاء) لشـيخه علاء الدين السـمرقندي، فلـما عرضه عليه زوجـه ابنته فاطمـة بعد ما خطبها الملـوك من أبيها، فامتنـع، وكانت الفتوى تخرج من دارهم وعليها خطها وخط أبيها وزوجها»[١].

- وتزوج الإمام النحوي عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل (ت:٧٦٩هـ) بنـت الفقيـه المحدِّث المسـند محمد بـن أحمد المشـهور بابن عدلان الشـافعي (ت:٧٤٩هـ)[٢].

- وتزوج ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) بنت شيخه الإمام المزي[٣].

- وتـزوج الهيثمـي (ت:٨٠٧هــ) بنـت شـيخه الحافـظ العراقـي. قال السـخاوي عـن العراقي في ترجمـة الهيثمي: «زوجه بنته خديجـة، ورزق منها عدة أولاد»[٤].

- وتزوج الشـيخ أبو حامد ابن المطري (ت:٨١١هـ) بنت الشيخ المعمر أبي بكر بن حسين المراغي (ت:٨١٦هـ)[٥].

---

(١) حاشية ابن عابدين (١/ ١٠٠)، وانظر: الجواهر المضية (٤/ ٢٦).

(٢) ذيل الدرر الكامنة (ص١٣٣).

(٣) انظر: البداية والنهاية (١٤/ ٧٢)، ط المعارف.

(٤) الضوء اللامع (٥/ ٢٠١).

(٥) ذيل الدرر الكامنة (ص٢٣٠ و١٩٩).

- وتزوج العالم الشيخ شمس الدين محمد بن علي القطان (ت:٨١٣هـ) بنت شيخه الإمام النحوي ابن عقيل (ت:٧٦٩هـ)[١].

- وقال نجم الدين الغزي في ترجمة جده رضي الدين محمد بن محمد الغزي (ت:٩٣٥هـ): «ولازم الشيخ خطاب [بن عمر الغزاوي] مدة حياته، وانتفع به، وتفقه عليه، ثم تزوج بابنة الشيخ خطاب آخراً بالتماسٍ من أبيها»[٢].

- وجاء في ترجمة العلامة ابن حجر الهيتمي (ت:٩٧٤هـ) «وفي سنة اثنين وثلاثين (٩٣٢هـ) ألزمه شيخه الشناوي بالتزوج، فقال: لا أملك شيئاً. فقال: هي بنت أختي، والمهر من عندي. فزوجه بها، وهي بنت ابن عمه، شقيق أبيه»[٣].

- وقال الشعراني في ترجمة الشيخ العالم الورع الزاهد بدر الدين الشهاوي (القرن: ١٠هـ): «أخذ العلم عن جماعة من مشايخ الإسلام، كالشيخ نور الدين الطرابلسي شيخ الإسلام، والشيخ شهاب الدين الحلبي، فلم يزل يقرأ عليه حتى تبحر في علوم الشريعة والإفتاء، فأحبه حباً شديداً وزوجه ابنته، وأجازه في الإفتاء والتدريس، فدرس وأفتى في حياة أشياخه بإذنهم»[٤].

---

(١) ذيل الدرر الكامنة (ص٢١٤).
(٢) الكواكب السائرة (٢/ ٤).
(٣) مقدمة الفتاوى الكبرى الفقهية (١/ ٤).
(٤) الطبقات الصغرى (ص٩٣).

- وقال المحبي في ترجمة مفتي الحنفية ومدرس المدرسة العثمانية بالقدس جار الله بن أبي بكر القدسي المعروف بابن أبي اللطف (ت:١٠٢٨هـ): «وأخذ عن عمه شيخ الإسلام، وكان يحبه جداً، حتى أنه زوجه ابنته»[١].

- وقال في ترجمة السيد محمد بن برهان الدين الشهير بشريف الحميدي نقيب السادة الطالبية بممالك آل عثمان (ت: ١٠٤٠هـ): «لازم شيخ الإسلام زكريا بن بيرام، وكان في خدمة نيابته بحلب، لما كان قاضياً بها، ولما صار قاضي العسكر أعطاه خدمة التذاكر، ثم زوجه ابنته، وتنقل في المدارس...»[٢].

- وقال العيدروس في ترجمة الإمام العلامة مفتي مدينة عدن ومدرسها وخاتمة العلماء بها، صاحب الفتاوى المفيدة، والتصانيف العديدة، الفقيه عبد الله بن أحمد بامخرمة الحميري الشيباني الهجراني الشافعي (٨٣٣-٩٠٣هـ): «كان مولده بالهجرين، وحفظ القرآن بها، ثم ارتحل لطلب العلم إلى عدن، وتفقه بالإمامين محمد بن مسعود باشكيل، ومحمد بن أحمد باحميش، واجتهد في الطلب ودأب، وواكب على الاشتغال ليلاً ونهاراً. وكان فقيراً لا يملك شيئاً، وقاسى في أيام طلبه من الجوع والمكابدة ما هو مشهور عنه. وبرع في سائر العلوم، وحقق الفنون، وساد الأقران، وسارت بفضله الركبان، ووقع على تقدمه الإجماع، وابتهجت بذكره النواظر والأسماع، وصار عمدة يرجع إلى قوله وفتواه في زمان مشايخه، فلما رأى شيخه أبو شكيل ما آل إليه

(١) خلاصة الأثر (١/ ٤٨١).
(٢) خلاصة الأثر (٣/ ٤٠٥).

أمـره اغتبط به وأحبـه، وخطبه لنكاح ابنته، وزوجه إياها، ورزق منها أولاداً فضلاء نجباء»[1].

- ومر معنا أن الشيـخ عثمان مردم الدمشقي (ت:١٣٠٤هـ) تزوج بنت شيخه هاشم التاجي[2].

- وجـاء في ترجمة الشـيخ أبي الخـير الميداني رئيس رابطة العلماء بدمشـق (ت:١٣٨٠هـ) أن شيخه الشيخ عيسى الكردي «زوجه ابنته أم المريدين «أم عادل» - وكانت ثيباً - بترغيب من تلميذه الشـيخ أمين الزملكاني، قائلاً له: احفـظ عليهـا. فحافظ عليها في حياتـه، فلم يغضبها، ولم يتـزوج عليها رغم أنـه لم يرزق منها ذرية، في الوقت الذي كانت تعرض عليه البنات النسـيبات الغنيـات قائـلاً: ما ذنبها؟ الذنب ذنبي. وكان يشـاورها في أموره، ولا يدعو أحداً إلى وليمة في البيت إلا إذا وافقت، ولم يتأفف منها برغم مرضها، وفقدان بصرهـا لفترة من الزمـن. وكان يقول: لئن حرمني الله من الذرية فقد تفضل عـليَّ إذ أكرمني ورزقني أولاداً بررة أتقيـاء أوفياء. يعني بهم الطلاب. وكان يتأدب معها تأدبه مع شـيخه، محافظة على عهد الشـيخ»[3] وكانت هي تبادله الاحترام والتقدير نفسه[4].

* * *

(١) النور السافر (ص٥٨).

(٢) انظر (ص٤٠).

(٣) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (٢/ ٧٢٢).

(٤) انظر خبراً عن ذلك في كتاب «الإمام الرباني العلامة الشيخ أبو الخير الميداني» (ص٢٤).

حفظهم في ذريتهم

لم تقتصر عناية العلماء بطلابهم وطلاب العلم على حياتهم بل امتدت هذه الرعاية لتشمل الاهتمام بذويهم بعد موتهم.

- قال الشعراني في ترجمة الإمام محمد الشامي صاحب السيرة المعروفة بالسيرة الشامية، المعنونة بـ«سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» (ت:٩٤٢هـ):

«ومنهم الأخ الصالح العالم الزاهد، الشيخ شمس الدين محمد الشامي المتمسك بالسنة المحمدية، نزيل التربة البرقوقية، وكان عالماً، صالحاً، مفنناً في العلوم، وألف (السيرة النبوية) المشهورة التي جمعها من ألف كتاب، وأقبل الناس على كتابتها، ومشى فيها على أنموذج لم يسبق إليه أحد...

كان حلو المنطق، مهيب المنظر، كثير الصيام والقيام، بت عنده الليالي فما كنت أراه ينام في الليل إلا قليلاً»، ثم ذكر ما سقت هذا تمهيداً له فقال:

«كان إذا مات أحد من طلبة العلم وخلَّف أولاداً قاصرين وله وظائف يذهب إلى القاضي، ويتقرر فيها، ويباشرها، ويعطي معلومها[١] للأيتام، حتى يصلحوا للمباشرة»[٢].

* * *

---

(١) أي: راتبها.

(٢) الطبقات الصغرى (ص٧٣) وعنها شذرات الذهب (١٠/ ٣٥٣-٣٥٤).

صلة في النوم

إن الصلة بين العلماء وطلابهم لما كانت لله عز وجل، فإن الله بواسع فضله وكبير كرمه جعلها صلة دائمة لا تنتهي، حتى بعد رحيل العلماء إلى الدار الآخرة، وقد تقع للطلاب مشكلات ومسائل علمية، فيريهم الله شيوخهم ويدلونهم على الجواب، ويخرجونهم من حيرتهم، وفي هذا السياق أذكر هذه الأخبار:

- قال ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي: «لما دخلنا أصبهان في سفرتي الثانية كنا سبعة أحدنا الفقيه أحمد بن محمد بن الحافظ، وكان طفلاً، فسمعنا على المشايخ، وكان المؤيد ابن الأخوة عنده جملة من المسموعات، وكان يتشدد علينا، ثم توفي، فحزنت كثيراً، وأكثر ما ضاق صدري لثلاثة كتب: (مسند العَدَني) و(معجم ابن المقرئ) و(مسند أبي يعلى)، وقد كنت سمعت عليه في النوبة الأولى (مسند العدني) لكن لأجل رفقتي، فرأيت في النوم كأن الحافظ عبد الغني [بن عبد الواحد المقدسي] قد أمسك رجلاً وهو يقول لي: أُمَّ هذا، أُمَّ هذا. وهذا الرجل هو ابن (عائشة بنت معمر)، فلما استيقظت قلت: ما هذا إلا لأجل شيء، فوقع في قلبي أنه يريد الحديث، فمضيت إلى دار بني معمر وفتشت الكتب فوجدت (مسند العدني) سماع عائشة مثل ابن الأخوة، فلما سمعناه عليها قال لي بعض الحاضرين: إنها

سمعت (معجم ابن المقرئ)، فأخذنا النسخة من خباز، وسمعناه. وبعد أيام ناولني بعض الإخوان (مسند أبي يعلى) سماعها، فسمعناه»[1].

فانظر إلى هذه الرؤيا وكيف قادت إلى خيرٍ كبير.

- وقال السخاوي في ترجمة الإمام النووي (ت:٦٧٦هـ):

«ومن كراماته ما حكاه ابن الوردي أيضاً في ترجمة شيخه الشرف البارزي [٦٤٥-٧٣٨هـ] مما حكاه له في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وسبعمئة[2]: أنه رأى النووي في المنام، قال: فقلت له: ما تختار في صوم الدهر؟ فقال: فيه اثنا عشر قولاً للعلماء.

قال: فلما استيقظت وجدت الأمر كذلك، - يعني بعد التتبع - فإنني لم أر الأقوال مجموعة في كتابٍ واحد، وعدَّه ابن الوردي من كرامات شيخه أيضاً.

ووجدت هذا المنام أيضاً بخط شيخي [ابن حجر] في بعض أجزاء «تذكرته»، وعبارته: قال الشرف البارزي: رأيت النووي في النوم فسألته عن صوم الدهر، فقال: فيه اثنا عشر قولاً للعلماء.

قال: فأقمت حولاً حتى اجتمعت لي، ولم أجدها مجموعة في كتاب، وهي هذه:

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٥١).

(٢) تاريخ ابن الوردي (٢/ ٤٥٨-٤٥٩).

* صوم الدهر في حق مَنْ لم ينذر ولم يتضرر به، فيه أربعة أقوال:

- الاستحباب، وهو اختيار أكثر الشافعية.

- والكراهة، وهو اختيار البغوي.

- والإباحة، وهو نص الشافعي.

- والتحريم، وهو قول جماعة من السلف.

* وفي حق من نذر ولم يتضرر به خمسة أقوال:

- الوجوب، وهو اختيار أكثر الشافعية.

- والأربعة المتقدمة للقائلين.

* وفي حق من يتضرر به، بأن تفوته السنن، أو الاجتماع بالأهل ثلاثة أقوال:

- التحريم.

- والكراهية.

- والإباحة.

انتهى ما قرأته بخط شيخنا»[1].

---

(١) المنهل العذب الروي (ص١١٣-١١٤).

- وقال السخاوي في ترجمة العالم الفقيه أبي بكر بن محمد الهمداني الجِبْلي، ثم التعزي الشافعي المعروف بابن الخياط (٧٤٢-٨١١هـ):

«أخذ بـ (تعز) عن الفقيه الجمال الريمي، وأبي بكر بن علي الناشري، وكان يتبجح به ويقول له: أنت أعرف بـ(وسيط) الغزالي مني.

واتفق أن الجمال الريمي سأله عن الإقالة في النكاح هل تصح كالفسخ، فقال له: المسألة في (الوسيط)، فأحضره إليه فلم يجدها، فاستمهله فأمهله ثلاثة أيام، ونال منه ومن شيخه الرضي الناشري، فخرج من عنده وأخذ في التفتيش عليها حتى مضى معظم الليل ولم يجدها، فلما كان في السحر غلبته عيناه، فرأى شيخه الرضي، فعين له موضعها، فلما استيقظ وجدها في المكان المعين، فكانت غريبة»[1].

- وقال الشيخ عبد القادر الشاذلي في ترجمة الإمام السيوطي (ت:٩١١هـ):

«رآه جماعة من أصحابه بعد موته... وذكّرهم بأشياء وأفادهم فوائد كانوا محتاجين إليها، كأنهم معه، ويخالطهم، لم يخف عليه شيء من أحوالهم... .

وسئل القاضي زكريا... أحد طلبة الشيخ عن مسألة فأجاب عنها بما أجاب الشيخ، وهو منقول عنده، فطلب منه السائل الوقوف على النقل، فنسي

---

(١) الضوء اللامع (١١/ ٧٨).

مكانـه، ولم يعرف في أي مـكان هو، فنام[1] تلك الليلة فرأى الشـيخ وأخبره بالواقعة، فقال له الشـيخ: الجواب عندك في أول كرَّاس من (تذكرتك) التي عملتها. فقام في تلك الساعة إلى الكراس، ففتحه فإذا هو كما قال الشيخ.

وكان القاضي زكريا إذا سمع من الشيخ في الدرس فائدة غريبة، أو نادرة عجيبـة، نقلهـا في وقايـة[2]، حتى إذا جـاء إلى منزله رتَّبهـا في أوراق، فبقيت كراريس، فسماها (التذكرة)...»[3].

* * *

---

(١) في الأصل: فقام.

(٢) كذا في الأصل، وربما كان المراد: ورقة.

(٣) بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين (ص٢٦٥-٢٦٦). والشـيخ زكريا كان قاضياً بمصر العتيقة، توفي سنة (٩٢٩هـ). انظر: الكواكب السائرة (١/ ٢٠٨-٢٠٩).

عناية في اليوم الآخر

ومن عناية العلماء بطلابهم وأصحابهم رجاؤهم من الله سبحانه وتعالى أن ينفعوهم في الآخرة، ويُذكر هنا ما يأتي:

- قال ابن العطار في ترجمة شيخه الإمام النووي (ت:٦٧٦هـ):

«وقال لي جماعة من أقاربه وأصحابه بـ (نوى): إنهم سألوه يوماً أن لا ينساهم في عرصات القيامة، فقال لهم: إنْ كان ثَمَّ جاه[1]، والله لا دخلت الجنة وواحدٌ ممن أعرفه ورائي، ولا أدخلها إلا بعدهم.

فرحمه الله، ورضي عنه، لقد جمعت هذه الحكاية من الأدب مع الله - عز وجل -، ومن الكرم ما لا يخفى على متأمِّل فطن»[2].

---

(١) أي بالنسبة إليه، وهناك حديث عن شفاعة العالم رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٦٨) فقال: «أخبرنا أبو سعد، أنا أبو أحمد ابن عدي [في الكامل ٦/ ٤٣٨]، ثنا أحمد بن محمد بن عنبسة الحمصي، ثنا كثير بن عبيد الحمصي [في الأصل: الجمي وهو خطأ]، ثنا بقية عن مقاتل بن سليمان قال: حدثني أبو الزبير وشرحبيل بن سعد عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: يبعث العالم والعابد، فيقال للعابد: ادخل الجنة، ويقال للعالم: اثبت حتى تشفع للناس بما أحسنت أدبهم. تفرد به مقاتل بن سليمان».
وأورده السيوطي في الجامع الكبير عن ابن عدي والبيهقي وقال: ضعفه البيهقي. انظر: كنز العمال (١٠/ ١٧٣ - ١٧٤) (٢٨٩٠٣).
وله طريق آخر لكن فيه حبيب بن إبراهيم، انظر: جامع بيان العلم وفضله وحاشيته (١/ ١٠٨-١٠٩).

(٢) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين (ص١٩٧-١٩٨)، ونقل الخبر عن المصنف: الذهبي في تاريخ الإسلام (٥٠/ ٢٥٦)، والسيوطي في المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي (ص٨٨).

- وقال الشيخ عبد القادر الشاذلي في ترجمة شيخه الإمام السيوطي (ت:٩١١هـ):

«وبلغني عن الشيخ - رحمه الله - أنه قال لطلبته قبيل موته: إن أذن لي في الشفاعة شفعت في أصحابي ودخلت بهم الجنة.

قلت: انظر إلى محبته لطلبته وأصحابه، وشفقته عليهم، وعنايته بهم رضي الله عنه»[١].

* * *

(١) بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين (ص٢٦٩).

الخاتمة

بعد هذه الرحلة المباركة التي كان قصدها استطلاع حال العلماء مع طلابهم، والكشف عن آفاق هذه العلاقة المتينة، من خلال سيرهم وتراجمهم، وما تناثر من ذلك في صفحات التاريخ، نخلص إلى نتائج مهمة، منها الآتي:

- إنَّ عناية العلماء بطلاب العلم تجاوزت الأوهام والتصورات، وأظهرت جهود العلماء العظيمة في بثِّ العلم، وتشجيع طلابه، لتوسيع القاعدة العلمية، والبيئة التعليمية في عالم الإسلام.

- إنَّ وراء هذه العناية المدهشة غايات نبيلة وهي طلب مرضاة الله تعالى، والفوز بجزيل نعمائه وكريم آلائه، وهذا أعظم الدوافع، وأجل البواعث، وإذا تحقق ذلك للإنسان جاء بالعظائم.

- انطلق العلماء في عنايتهم هذه من أسس متينة، قام عليها هذا البناء الشامخ وثبتت أركانه، وتعالت جدرانه، هذه الأسس هي عناية الله تعالى ورسوله، وعناية الصحابة الكرام الذين جسدوا تعاليم الكتاب والسنة. وقد أظهر البحث هذه العنايات في مداخل الكتاب.

- يبين الكتاب أن من عناية الله تعالى بطلاب العلم أخذه - سبحانه - الميثاق على العلماء أن يبينوا ما لديهم من علم، ووعده لطلاب العلم بالحسنى على لسان رسوله ﷺ، وإنقاذهم في الشدائد وإسعافهم عند الحاجة.

- ويبين من عناية رسول الله ﷺ خمس صور هي: مراعاة أحوالهم، وتنشيط أذهانهم من خلال السؤال، والثناء على المتعلم، والدعاء لهم، والوصية بهم.

- ويَذْكُرُ من الصحابة الكرام الذين كانوا أول من طبق هذه التوجيهات التصريحية والتلميحية: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأبا ذر الغفاري، وعبد الله بن مسعود، وأبا سعيد الخدري، وابن عباس. وهذا - كما هو واضح - على سبيل التمثيل لا الحصر.

- استنبط البحث ثمانية وعشرين مَعْلماً من معالم العناية، خلال رحلة ممتدة في تاريخنا العلمي المجيد، وقد رُتبت هذه المعالم متدرجة - قدر الإمكان - تدرج ساعات النهار، فكأن النهار بمراحله يعكس مرحلة التعليم بأطوارها.

- صنفت هذه المعالم المستنبطة ضمن عناوين تنتظمها، فكان لدينا: خطوط الفجر، ونور الصباح، وإشراقات الضحى، وأجواء الظهيرة، ونسمات السماء.

- كان الغرض من هذا الكتاب تكوين صورة واضحة عن عناية العلماء بطلابهم، وكان لا بد لذلك من حرث التاريخ الإسلامي في تراجمه وسيره لاستخراج هذه الشواهد التي تعين على رسم الصورة المبتغاة. وقد يقل التعليق عليها، فهي ناطقة بنفسها، معبرة بذاتها.

ـ رُوعـي في كل معلم ذكر الشـواهد والأمثلة والأخبار فيه متسلسـلة حسـب الوفيـات: الأقدم فالأقـدم، لنرى اسـتمرار هذه العنايـة لدى الأمة عبر تاريخها.

– يكشـف الكتـاب – ضمـن هذه المعـالم مجتمعـة – عن منهجيـة رائعة لتعامل العلماء مع طلابهم، وحرص بالغ لأداء الأمانة إليهم، وسـعي حثيث لنشر العلم وتخريج الطلاب، واتباع أساليب متعددة لإنجاح هذا كله.

– وتكشـف هذه المعالم عن سـمو أخلاقـي رفيع المسـتوى يطبعها جميعاً بطابعـه، فكل معلم مـن هذه المعالم تدفعـه الأخلاق، وتزينـه، وتقوده، وإذا اتسمت العملية التعليمية بالأخلاق أثمرت أجمل الآثار وأحسنها.

– كشـفت هذه المعالم عن شيء مهم وهو أن العلماء كانوا دائماً في موقف المعطـي لا الآخـذ، وأنهـم أخلصـوا العلـم لله واحتسـبوا، وقدمـوا كل مـا يسـتطيعون لطلابهم من علم ومال وجاه، ونصحوا لهم، ورووا عطشهم إلى المعرفة، وإذا استطاعوا زوجوهم.

– وكشـفت عن أمـر رائع وهـو أن العلماء أقدموا على إكسـاب طلابهم المهارات العلمية والأدبية، والخبرات الشخصية الحيوية، فقد دربوا الطلاب عـلى النقـاش، وحثوهم على التأليـف، وأعانوهم عليـه، ودربوهم على قول الشـعر، وصقلـوا مواهبهم، وقد جـرت العادة أن يضـن أصحاب المهارات والخبرات بما لديهم ويحجبوا ذلك عن الناس.

- وكشـفت أيضاً عن منحىً عميق وهو ارتبـاط العلم بالعمل، فالعلماء عَلِمـوا وعَمِلُـوا، وورثوا هذا لطلابهم، وقووا صلتهـم بربهم، وحثوهم على الالتـزام الدقيـق بالصـدق في حياتهم، ونصحوهـم أجمل النصائـح وأكثرها تأثيراً، وأرادوا لهم الخير في الدنيا والفوز في الآخرة بقرنهم العلم بالعمل.

- كـما كشـفت عن عنايتهـم الكبيرة بـذوي النبوغ والـذكاء، واحتضان أصحـاب المواهـب والملكات، وهـذا معلم رائع، وفي الأمة حاجة ماسـة إلى تفعيله والاهتمام به.

ولا أريـد الإطالـة فكل معلـم من المعالم السـابقة نتيجة مهمـة، يجدر بنا الوقوف عندها، والاسـتفادة منها، وتطبيقها في حياتنا التعليمية. والحمد لله رب العالمين.

* * *

المصادر والمراجع [1]

- الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير للجوزقاني (ت: ٥٤٣هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، دار الصميعي، الرياض، ط٣ (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).

- إجازة داود بن سلمان التكريتي (ت:١٣٦٠هـ) لعبد الكريم الدبان (ت:١٤١٣هـ)، نسخة مصورة عندي.

- الأحاديث المختارة للضياء المقدسي (ت:٦٤٣هـ)، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ط١ (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).

- أخبار ابن وهب وفضائله لابن بشكوال (ت:٥٧٨هـ)، تحقيق: قاسم علي سعد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١(١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

- أخبار أبي حنيفة وأصحابه للصيمري (ت:٤٣٦هـ)، مصورة دار الكتاب العربي، بيروت (١٩٧٦م)، على الطبعة الهندية.

- الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح (ت:٧٦٣هـ)، مصورة مؤسسة قرطبة عن طبعة محمد رشيد رضا (د.ت).

- الأدب المفرد للبخاري (ت:٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).

- أدب الإملاء والاستملاء لأبي سعد ابن السمعاني(ت: ٥٦٢)، مصورة دار الكتب العلمية عن الطبعة التي حققها ماكس فايسفايكر، بيروت (١٤٠١هـ-١٩٨١م).

- أدب الطلب ومنتهى الأرب للشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: محمد صبحي حلّاق، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١(١٤١٥هـ).

---

(١) جريت على حذف الألقاب مع الجميع فمعذرة.

- الأذكار للنووي (ت:٦٧٦هـ) انظر: الفتوحات الربانية.

- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢(١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

- الأشباه والنظائر لابن نجيم (ت: ٩٧٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١(١٤١٣هـ-١٩٩٣م).

- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢ (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

- الأعلام للزركلي(ت:١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط١١ (١٩٩٥م).

- الإمام الرباني العلامة الشيخ أبو الخير الميداني لمحمد مطيع الحافظ. نسخة خاصة مصفوفة غير منشورة.

- الإمام الرباني شيخ الذاكرين والعابدين الشيخ عيسى الكردي لمحمد مطيع الحافظ. نسخة خاصة مصفوفة غير منشورة.

- الإمام عبد الله بن سالم البصري المكي (١٠٤٩-١١٣٤هـ) إمام أهل الحديث بالمسجد الحرام للعربي الدائز الفرياطي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١(١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

- إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر العسقلاني(ت:٨٥٢هـ)، مصورة دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢(١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

- إنباه الرواه على أنباه النحاة للقفطي (ت:٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصورة دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١(١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

- الأنوار الجلية في مختصر الأثبات الحلبية للطباخ (ت:١٣٧٠هـ)، المطبعة العلمية، حلب (١٣٥١هـ - ١٩٣٢م).

- البداية والنهاية لابن كثير (ت:٧٧٤هـ):

١- دار أبي حيان، القاهرة ط١(١٤١٦هـ- ١٩٩٦م).

٢- طبعة دار المعارف، فإن أردتها صرحت بها.

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني (ت:١٢٥٠هـ)، تحقيق: حسين العمري، دار الفكر، دمشق، ط١ (١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

- بستان العارفين للنووي(ت:٦٧٦هـ) تحقيق: محمد الحجار، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٥(١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

- بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم (ت:٦٦٠هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت.

- بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد لابن الديبع(ت:٩٤٤هـ)، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء. (تاريخ التصدير١٩٧٩م).

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي(ت:٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، مصورة دار الفكر، بيروت، ط٢ (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م).

- بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني للكوثري(ت:١٣٧١هـ) مصورة دار الرعاية الإسلامية عن طبعة مطبعة الأنوار، القاهرة (١٣٦٨هـ).

- بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين (السيوطي) لعبد القادر الشاذلي (كان حياً سنة ٩٤٦هـ)، تحقيق: عبد الإله نبهان، من مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ط١(١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

- تاريخ ابن الوردي (ت:٧٤٩هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف (١٣٨٩هـ-١٩٦٩م).

- تاريخ الإسلام للذهبي (ت:٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣(١٤١٥هـ-١٩٩٤م).

- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت:٤٦٣هـ):

١- مصورة دار الفكر، بيروت.

٢- تحقيق: بشار عواد معروف، وهي بعنوان: تاريخ مدينة السلام، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١(١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ويُعرف العزو إليها من العنوان.

- تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري لمحمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دار الفكر، دمشق، ط١(١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

- تاريخ قضاة الأندلس المسمى كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا للنباهي المالقي الأندلسي (كان حياً سنة ٧٩٣هـ)، مصورة دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٥(١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر(ت:٥٧١هـ)، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت،(١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

- التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر لمحمد الحبيب الهيلة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط١(١٩٩٤م).

- التبيان في آداب حملة القرآن للنووي (ت:٦٧٦هـ)، الوكالة العامة للتوزيع، دمشق (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

- التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز للكوثري(ت:١٣٧١هـ)، بعناية: عبد الفتاح أبوغدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١(١٤١٣هـ-١٩٩٣م).

- تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين (النووي) لابن العطار (ت:٧٢٤هـ)، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار الصميعي، الرياض، ط١(١٤١٤هـ).

- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١(١٤١٤هـ-١٩٩٣م).

- تذكرة الحفاظ للذهبي(ت:٧٤٨هـ)، مصورة دار إحياء التراث العربي عن الطبعة الهندية.

- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة (ت:٧٣٣هـ)، تحقيق: محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١(١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

- التراتيب الإدارية للكتاني (ت:١٣٨٢هـ)، مصورة دار الكتاب العربي، بيروت.

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك لعياض (ت:٥٤٤هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، منشورات وزارة الأوقاف المغربية.

- ترجمة الشيخ عبد الله بن سالم البصري لسالم بن أحمد الشماع، تحقيق: العربي الدائز الفرياطي، ملحقة بكتابه: الإمام عبد الله بن سالم البصري المكي. دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١(١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

- الترغيب والترهيب للمنذري (ت:٦٥٦هـ)، تحقيق: أيمن صالح، دار الحديث، القاهرة، ط١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).

- ترياق المحبين في سيرة سلطان العارفين لتقي الدين الواسطي (ت:٧٤٤هـ)، نسخة مخطوطة مصورة عن نسخة المتحف البريطاني.

- التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (ت:٦٥٨هـ)، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت (١٤١٥هـ- ١٩٩٥م).

- تهذيب التهذيب لابن حجر (ت:٨٥٢هـ)، الطبعة الهندية.

- توضيح المشتبه لابن ناصر الدين الدمشقي (ت:٨٤٢هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).

- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (ت:٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٥(١٤٢٢هـ).

- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت:٦٨١هـ)، المطبعة المصرية الأولى.

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (ت:٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١(١٤١٢هـ - ١٩٩١م).

- الجامع الكبير للترمذي (ت:٢٧٩هـ) ، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١(١٩٩٦م).

- الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي(ت:٧٧٥هـ)، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر، مصر، ط٢ (١٤١٣هـ-١٩٩٣م).

- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر للسخاوي (ت:٩٠٢) تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم، بيروت، ط١(١٤١٩هـ- ١٩٩٩م).

- الجوهر النقي لابن التركماني (ت:٧٤٥هـ) مع السنن الكبرى للبيهقي.

- حاشية ابن عابدين (ت:١٢٥٢هـ)، دار الفكر، بيروت (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

- الحث على طلب العلم والاجتهاد في تحصيله لأبي هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، القاهرة (١٩٩٨م).

- الحدائق لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: مصطفى السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١(١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).

- حلية الأولياء لأبي نعيم (ت:٤٣٠هـ)، مصورة دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م).

- الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها ليوسف بن رشيد العش(ت:١٣٨٧هـ)، مطبعة الترقي، دمشق، (١٣٦٤هـ-١٩٤٥م).

- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي(ت: ١١١١هـ) مصورة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

- الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد للغزي (ت:٩٨٤هـ)، تحقيق: عبد الله محمد الكندري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١(١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م).

- حكم ابن عطاء الله (ت:٧٠٩هـ) مع شرح زروق، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، دار الشعب، القاهرة (١٤٠٥هـ -١٩٨٥م).

- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة.

- دمية القصر للباخرزي (ت:٤٦٧هـ)، تحقيق: سامي مكي العاني، دار العروبة، الكويت، ط٢ (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي المدني (ت:٧٩٩هـ)، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة (د.ت).

- ذيل تاريخ مدينة السلام لابن الدبيثي (ت:٦٣٧هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١ (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م).

- ذيل الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)، تحقيق: عدنان درويش، إصدارات معهد المخطوطات العربية، القاهرة (١٤١٢هـ-١٩٩٢م)

- الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي(ت:٧٩٥هـ).

١ - تحقيق: محمد حامد الفقي، مصورة دار المعرفة، بيروت.

٢ - تحقيـق: عبـد الرحمن العثيمـين، مكتبة العبيـكان، الريـاض، ط١(١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م)، فإن أردتها ذكرت المحقق.

- رجـال مـن التاريـخ لعـلي الطنطـاوي (ت:١٤٢٠هــ)، دار المنـارة، جدة، ط٨ (١٤١١هـ-١٩٩٠م).

- الرحلـة في طلب الحديث للخطيـب البغدادي(ت:٤٦٣هـ)، تحقيق: نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٣٩٥هـ).

- رسـالة في جـواز حـذف «قـال» عنـد قولهـم «حدثنـا» لمحمـد بـن أحمـد بنِّيس (ت:١٢١٣هــ)، تحقيق: عبد الفتاح أبوغدة ضمن « خمس رسـائل في علوم الحديث » دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١(١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

- رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر العسـقلاني(ت:٨٥٢هـ)، تحقيق: حامد عبد المجيد، ومحمد المهدي أبوسنة، ومحمد إسماعيل الصاوي (كذا فقط).

- سـعيد الأفغـاني حامل لواء العربية وأسـتاذ أسـاتيذها لمازن المبـارك، دار القلم، دمشق، ط١ (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

- سلسـلة الأحاديـث الصحيحـة للألبـاني (ت:١٤٢٠هـ)، المكتب الإسـلامي، بيروت، ط٤ (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

- السنن الكبرى للبيهقي (ت:٤٥٨هـ)، مصورة دار المعرفة، بيروت.

- السنن الكبرى للنسائي(ت:٣٠٣هـ)، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١(١٤٢١هـ- ٢٠٠١م).

- السـنن لابـن ماجـه (ت:٢٧٥هـ)، تحقيـق: محمد فؤاد عبـد الباقـي، دار إحياء التراث العربي (١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م).

- السنن لأبي داود (ت:٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة، جدة، ط١ (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م).

- سير أعلام النبلاء للذهبي (ت:٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي الدمشقي (ت:١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١ (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

- شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (ت:٤٦٣هـ)، تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١ (١٤١٧هـ- ١٩٩٦م).

- شعب الإيمان للبيهقي (ت:٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٠هـ).

- الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء لابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، المطبعة العصرية (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م).

- الصبابات فيما وجدته على ظهور الكتب من الكتابات لجميل العظم (ت:١٣٥٢هـ)، اعتنى به رمزي دمشقية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١ (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).

- صحيح البخاري مع فتح الباري.

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي (ت:٩٠٢هـ) مصورة دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، عن طبعة القدسي.

- الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد للأدفوي (ت:٧٤٨هـ)، تحقيق:سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة (١٩٦٦م).

- طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (ت:٥٢١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (ت:٧٧١هـ)، تحقيق: الحلو والطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

- طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة(ت:٨٥١هـ)، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، مصورة عالم الكتب، بيروت، ط١(١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).

- الطبقات الصغرى للشعراني (ت:٩٧٣هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة القاهرة (١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

- طبقات المفسرين للداوودي (ت:٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

- طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي (ت:٧٤٤هـ)، تحقيق: أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١(١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).

- العزيز شرح الوجيز للرافعي (ت:٦٢٣هـ)، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

- علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري لمحمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دار الفكر، دمشق، ط١(١٤١٢هـ-١٩٩١م).

- العلماء والأدباء الوراقون في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري لعبد الوهاب بن إبراهيم أبوسليمان، إصدار نادي الطائف الأدبي، ط١(١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

- الفتاوى الحلبية لأحمد الكردي (ت:١٣٧٣هـ) حققها وعلق عليها وأخرجها حفيده أحمد الحجي الكردي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١ (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

- الفتاوى الكبرى الفقهية لابن حجر الهيتمي (ت:٩٧٤هـ)، مصورة مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر (ت:٨٥٢هـ)، المطبعة السلفية.

- الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية لابن علان (ت:١٠٥٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢ (١٤٢١هـ).

- فكر ومباحث لعلي الطنطاوي (ت:١٤٢٠هـ) مطابع دار المنار، دمشق.

- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات للكتاني (ت:١٣٨٢هـ) بعناية: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢ (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).

- فيض القدير بشرح الجامع الصغير للمناوي (ت: ١٠٣١هـ) مصورة دار الفكر، بيروت.

- القاموس المحيط للفيروزآبادي (ت:٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥ (١٤١٦هـ- ١٩٩٦م).

- الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (ت:٣٦٥هـ)، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، ط٣ (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م).

- الكتب والمكتبات في الأندلس لعبد الرحمن علي الحجي، المجمع الثقافي، أبوظبي (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).

- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج للتنبكتي (ت: ١٠٣٦هـ)، تحقيق: عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت، ط١(١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م).

- كنز العمال للمتقي الهندي (ت:٩٧٥هـ)، تحقيق: بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).

- الكواكب الدرية في مناقب السادة الصوفية للمناوي (ت: ١٠٣١هـ)، تحقيق: محمد أديب الجادر، دار صادر، بيروت، ط١ (١٩٩٩م).

- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة للغزي (ت:١٠٦١هـ)، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١(١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

- لحظ الألحاظ لابن فهد (ت:٨٧١هـ)، (ضمن ذيول تذكرة الحفاظ) مصورة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- لسان العرب لابن منظور (ت:٧١١هـ)، دار صادر، بيروت.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي (ت:٨٠٧هـ)، مصورة دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣ (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).

- المجمع المؤسس للمعجم المفهرس لابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)، تحقيق: يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ط١ (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).

- المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ت:٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت (١٤٠٤هـ).

- المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر لمحمود شكري الآلوسي (ت:١٣٤٢هـ)، بعناية نعمان الأعظمي، بغداد، ط١ (١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م).

- مسند أحمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ)، تحقيق مجموعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٤١٣هـ-١٩٩٣م فما بعد).

- معـالم الإيمان في معرفة أهـل القيروان للدباغ (ت:٦٩٦هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، المكتبة العتيقة، تونس، ط٢ (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).

- المعـاصرون لمحمـد كرد عـلي (ت:١٣٧٢هـ)، علـق عليه محمد المـصري، دار صادر، بيروت، ط٢ (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).

- معجـم الأدبـاء لياقـوت الحمـوي (ت:٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسـان عبـاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١(١٩٩٣م).

- المعجـم للطبراني (ت:٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السـلفي، دار إحياء التراث العربي، ط٣ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

- المعجـم المختـص للزبيـدي (ت:١٢٠٥هـ)، اعتنـى بـه وقابـل أصولـه نظـام يعقوبي، ومحمد بن ناصر العجمي، دار البشـائر الإسـلامية، بـيروت، ط١(١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م).

- مقدمات الشـيخ عـلي الطنطاوي (ت:١٤٢٠هـ)، جمعها ورتبهـا وقدَّم لها مجد مكي، دار المنارة، جدة، ط١(١٤١٨هـ- ١٩٩٧م).

- مناقـب الشـافعي للبيهقي (ت:٤٥٨هـ)، تحقيق: السـيد أحمد صقـر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١(١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م).

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) الطبعة الهندية.

- المنهـاج السـوي في ترجمة الإمام النووي للسـيوطي(ت:٩١١هـ)، تحقيق: محمد العيد الخطراوي، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ط١(١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).

- المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي للسـخاوي(ت:٩٠٢هـ)، تحقيـق: محمـد العيد الخطـراوي، مكتبـة دار التراث، المدينـة المنـورة، ط١(١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م).

- نهاية المطلب في دراية المذهب للجويني(ت:٤٧٨هـ)، تحقيق: عبد العظيم الديب، دار المنهاج، جدة، ط١(١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م).

- النور السافر عن أخبار القرن العاشر لعبد القادر العيدروس (ت:١٠٣٨هـ)، تحقيق: أحمد حالو، ومحمود الأرناؤوط، وأكرم البوشي، دار صادر، بيروت، ط١(٢٠٠١م).

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكتي(ت:١٠٣٦هـ)، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١(١٤٢٣هـ-٢٠٠٤م).

- الوافي بالوفيات للصفدي (ت:٧٦٤هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين العرب والأجانب، دار النشر: فرانز شتايز شتوتكارت (يصدر على سنين).

- وحي القلم للرافعي (ت:١٣٥٦هـ)، مصورة دار الكتاب العربي، بيروت.

- وصية الإمام الذهبي (ت:٧٤٨هـ) لمحمد بن رافع السلامي (ت:٧٧٤هـ)، تحقيق: جمال عزون، مكتبة المعارف، الرياض، ط١(١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

- وفيات الأعيان لابن خلكان(ت:٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

- الوقف وبنية المكتبة العربية ليحيى محمود ساعاتي، إصدار مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط٢(١٤١٧هـ- ١٩٩٦م).

* * *

فهرس الموضوعات

* * *